السبت 19 آب 2023
العدد 4988 السنة الثامنة عشرة
Samedi 19 AOÛT 2023 nº 4988 18ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

محمد الشماع: تاريخ مصر كتَبَه المستعمِر

مافيا المولدات في الضاحية: ضريبة على الطاقة الشمسية [4]

السعودية ترص صفوف خصوم حزب الله [2]

سوريا تواجه خطر حافة الجوع

[8 ـ 9]

حاجة الأسرة المكوّنة من 5 أفراد تصل إلى 6,5 ملايين ليرة شهرياً (أ ف ب)

تقرير

نقابة المحامين تقسم الكتائب

3

تقرير

مليار مكيّف في العالم **أجهزة التبريد وقود «الجحيم العالمي»**

5

الحدث

عبد اللهيان في الرياض **الاتفاق يعود إلى «واقعيّته»**

10

البلاد

خلف الأسطورة أطفال نهشتهم الكلاب

12

معركة جنين في مسلسل «فوضى»

14

قضية اليوم

عود على بدء: السعودية تدعم جبهة ضد حزب الله

فوجئ البعض في لبنان بأن الموقف العملي للسعودية في لبنان بقي على حاله بعد اتفاقها مع إيران. هذا البعض لم يقرأ جيداً طبيعة الاتفاق الإيراني – السعودي، ولا مداه ولا نتائجه المباشرة وغير المباشرة. وعندما كان يقال بأن لبنان ليس بنداً على طاولة البحث، على الأقل من الجانب الإيراني، كان كثيرون يعتقدون بأن لبنان يجب أن يكون بنداً أوّل. حتى هؤلاء، لم يلتفتوا الى أن ملفات سوريا والعراق واليمن

لم تدرج بطريقة تحدث انقلاباً في الصورة. فكيف بالنسبة الى الساحة اللبنانية، المفتوحة على كل صراعات المنطقة.

عملياً، ما عكسته الاتصالات القائمة بشأن الملف الرئاسي، وملفات لبنانية أخرى، كيف أن السعودية لم تغيّر في موقفها. وما قصة الحياد في الملف الرئاسي سوى حيلة لا تعني أيّ نوع من التبدل في جوهر الموقف، بقدر ما تعكس واقع أن الولايات المتحدة الأميركية كما السعودية لا تنظران الى الملف اللبناني كأولوية الآن. وهذا ما وسّع هامش الدور الذي تقوم به دول أخرى مثل فرنسا وقطر. وبالتالي، في كل مرة يجري فيها البحث في قرار نوعي، تعيد السعودية إبراز موقفها المعارض لأيّ تسوية ترى أنها تصبّ في مصلحة حزب الله.

ما حاول السعوديون الحصول عليه في لبنان، اقتصر في المرحلة الأولى على رغبة بوقف الانتقاد لمواقف السعودية من مسائل كثيرة، سواء بما خص واقعها الداخلي، أو طريقة تعاملها مع الوضع في اليمن، أو موقفها من أمور كثيرة، من بينها القضية الفلسطينية. وكل ما طلبته السعودية من إيران، إقناع قيادة حزب الله بوقف انتقاد السعودية أو مهاجمتها.

على أن الجهات اللبنانية المعنية بما يجري تعرف أن السعودية ليست في وارد تغيير استراتيجيتها في لبنان الآن. والمعطيات مثبتة حول طلب الرياض من فريقها العامل في السفارة في لبنان ومن شخصيات تعمل لديها، بأن لا يتصرفوا على قاعدة وجود متغيرّات كبيرة، ربطاً بالاتفاق مع إيران. وهو أمر تعزّز، من جانب آخر، بعدما تبيّن أن دولة الإمارات العربية المتحدة أوحت الى السياسيين الذين تموّلهم أبو ظبي بأن يرفعوا من سقف المواجهة في الملف الرئاسي، انطلاقاً من دعم وصول قائد الجيش العماد جوزيف عون، لاعتقاد الإمارات بأن عون سوف يسحب الشرعية الشعبية من التيار الوطني الحر، وسوف يكون رأس حربة المواجهة المباشرة مع حزب الله.

ويلفت المتابعون في هذا السياق الى أن السعودية تجد أن الوقت مناسب لإعادة تنظيم صفوف حلفائها في لبنان بعد فشل التقاطع حول اسم جهاد أزعور، لأن الأمور مرشحة لأن تتطور صوب تفاهمات متنوعة، بينها ما يجري بين حزب الله والتيار الوطني الحر، وبإمكان فرنسا أن تحققه من تأكيد على أن خيار سليمان فرنجية لا يزال هو الأوفر حظاً.

وقائع اتصالات «الجبهة المعارضة للسلاح»

ندى أيوب

يسعى 31 نائباً، يطلقون على أنفسهم صفة «النائب السيادي»، لأجل إعادة تنظيم صفوفهم من خلال تشكيل جبهة سياسية موسعة، يكون فيها تجمع سياسي يبدأ من «القوات اللبنانية» وحزب الكتائب، مع مجموعة من القوى والكتل النيابية التي قامت بعد الانتخابات الأخيرة. وتضم: أشرف ريفي، ميشال معوّض، وضاح الصادق، مارك ضو، وميشال

مساعي لضم شخصيات لتعويض نقص النواب السنة الى جانب الكتائب والقوات

الدويهي، فؤاد مخزومي وبلال الحشيمي. ويسعى هؤلاء الى إطلاق لقاء سياسي شبيه بـ«لقاء البريستول». ويتصرف هؤلاء على أساس أنهم نواة مشروع معارض لحزب الله، مع سعي حثيث لأجل توسيعه بقصد ضمّ شخصيات سنية، كبديل من النقص في عدد النواب السنّة.

فكرة إطلاق جبهة معارضة ليست وليدة اليوم. بدأ البحث عشية الانتخابات النيابية 2022، بتشكيل جبهة بوجه لوائح «المنظومة الحامية للسلاح». حينها قادت «الكتائب» المساعي، والخروج ببيان بمثابة «خريطة طريق، يحسم العديد من النقاط الأساسية التي تشكّل رؤيتها».

ويتّضح من البيان أن تلك الرؤية تتمحور حصراً حول حزب الله وسلاحه، فجميع البنود تصبّ في النهاية حول السلاح، إن كان الضرورة، والذي وقّعه أكثر من 40 نائباً، بغالبية مسيحية، ما جعل «القوات» ممتعضة من محاولة الكتائب قيادة المعارضة المسيحية، فكان الاجتماع الثاني في مجلس النواب، لا في «بيت الكتائب»، وتضاءل عدد الموقّعين إلى حدود الـ 30. استمر هذا «البلوك النيابي» في اجتماعاته الدورية العادية، وأقصى ما كان يصدر عنه بيانات مقاطعة لجلسات التشريع. إلى أن حصل التقاطع على ترشيح جهاد أزعور لرئاسة الجمهورية، فتصرّف هؤلاء النواب، وكان عددهم قد رسا على 31، ككتلة سياسية سحبت ترشيح ميشال معوّض وأعلنت اسم أزعور مرشحاً.

وجد هذا «البلوك» النيابي نفسه أمام فرصة ذهبية مع وقوع حادثة الكحالة، وبدأ العمل على تضخيم الحدث، والاستفادة القصوى منه وحدّد حزب الكتائب السقف الأعلى، عبر الدعوة إلى «إطلاق أوسع جبهة معارضة سياسية غير تقليدية تنطلق من نقطة اللاعودة مع حزب الله». من جانبها، لم تكن «القوات» في وارد ترك الجميّل يتصدّى للمشهد في ظرف كهذا، فارتفعت وتيرة الاتصالات وخرجت عن إيقاعها الروتيني، وأفضت إلى صدور بيان موقّع من النواب الـ 31 أنفسهم، الذين يتصرّفون ككتلة سياسية متّحدة، وقد رأت مصادر هذه القوى أن ما يجري هو «الترجمة الأولى للشكل الجديد من المواجهة السياسية»، فارتأت الخروج ببيان بمثابة «خريطة طريق، يحسم العديد من النقاط الأساسية التي تشكّل رؤيتها».

ويتّضح من البيان أن تلك الرؤية تتمحور حصراً حول حزب الله وسلاحه، فجميع البنود تصبّ في النهاية حول السلاح، إن كان من خلال البنود المطالبة بنزعه وحصر السلاح بيد الدولة، أو من خلال الحديث عن «اعتماد سياسة خارجية تقوم على الحياد حماية للبنان»، أو الطلب من المجتمع الدولي تطبيق القرارات الدولية من 1559 إلى 1701. أو حتى عند تذكير المؤسسة العسكرية بدورها

(هيثم الموسوي)

«المتمحور حول حماية الشعب من الميليشيات المسلحة وليس العكس»، تعبيراً عن استيائهم من عدم تصادم الجيش مع عناصر «حزب الله» في الكحالة.

بالتوازي، ينقل عارفون أن على طاولة البحث وضع مقترحات من أجل ماسسة المواجهة، لتأخذ شكل لقاء سياسي يشارك فيه معارضون هم أصحاب رأي وصحافيون ومؤثّرون وقيادات في مجموعات مدنية، في عودة بالزمن إلى حالة شبيهة بولادة 14 آذار، وأدوات عملها، وارتفاع متوقع بمنسوب التوتر السياسي والطائفي. واللافت أن الرهان، بحسب مصادر كتائبية، على «تحمّل الناس مسؤوليتها من خلال تحركات شعبية ترفض استباحة الشرعية، تواكب فيها الحراك البرلماني». وتكون بذلك «المعارضة» قد أوصلت فعلاً البلد إلى نقطة اللاعودة، وسط احتمال أن تقابل الشوارع بعضها البعض.

وتزامن صدور البيان، العالي النبرة، يوم الأربعاء، مع افتتاحية لصحيفة «الرياض» السعودية، في اليوم نفسه، تحت عنوان «مواجهة مفتوحة»، حيث توجّهت الى «المعارضة» بدعوتها إلى «خلق جبهة وطنية موسّعة ضد هيمنة الحزب الولائي، والترفع عن الخلافات الحزبية بين جميع الأطراف المعارضة»، ما يشكّل مؤشراً إضافياً يدعم معلومات أفادت في اليومين الماضيين بأن «التصعيد جاء منسّقاً بعد لقاء مع السفيرة الأميركية في لبنان دوروثي شيا واتصالات بالسعوديين»، قابلتها أجواء أفادت بأن «الخطوة تندرج في إطار التناغم على سبيل تقديم المزيد من أوراق الاعتماد للسعودي والأميركي، قبيل عودة الموفد الفرنسي جان إيف لودريان إلى بيروت، وأنه يمكن الاعتماد على هذا الفريق المعارض ليشكّل أداة عرقلة مفاوضات أيلول في حال لم ترق حركة المبعوث الفرنسي للسعوديين والأميركيين».

يأتي ذلك على وقع استمرار حوار بين «حزب الله» والتيار الوطني الحرّ، وضع «المعارضة» في حالة ترقّب للخطوة التالية للنائب جبران باسيل. وفي هذا الصدد، تفيد الأجواء بأنّ «التفكير الجدي في خلق جبهة متماسكة بدأ مع تسريب أصداء جيدة عن حوار الحزب والتيار، ما استدعى التحضير لمواجهة أي تحالف جديد قد يفضي إليه الحوار عبر جبهة موحّدة».

تقرير

11 مرشحاً من «الصقور» لمنصب النقيب
نقابة المحامين تقسم الكتائب

حماوة انتخابيّة ترافق التحضيرات لانتخابات نقيب للمحامين و5 اعضاء في مجلس النقابة، في 19 تشرين الثاني المقبل، بعدما تجاوز عدد المرشحين لمنصب النقيب الـ 11. ويزيد من حماوة المعركة الخلاف داخل حزب الكتائب المنقسم بين مرشّح النائب نديم الجميل ومرشّح النائب الاول لرئيس الحزب النقيب السابق جورج جريج

لينا فخر الدين

معركة كسر عظم تنتظر نقابة المحامين في 19 تشرين الثاني المقبل لانتخاب خلف للنقيب الحالي ناضر كسبار، الذي تنتهي ولايته، و5 أعضاء في مجلس النقابة بعدما قدّم اثنان منهم (وجيه مسعد وفادي المصري) استقالتهما لخوض معركة النقيب.

الحماوة الانتخابيّة تبدو واضحة من «الشهيّة المفتوحة» على الترشيح، إذ وصل عدد المرشّحين إلى منصب النقيب إلى نحو 11 الأسبوع الماضي، يصنّفون جميعاً من «الصقور»، وهم: عبدو لحود، اسكندر الياس، الكسندر نجّار، فادي المصري، فادي حداد، وجيه مسعد، فريد الخوري، أديب زخّور، يوسف الخطيب، سميح بشراوي وإبراهيم مسلم. أمّا المرشحون للعضوية فهم: إيلي اقليموس (يحظى بدعم من النقباء السابقين وخصوصاً والده النقيب السابق أنطوان اقليموس)، أديب حرفوش (يحظى بدعم من الكتائب والقوات)، شوقي شريم (مرشّح حركة أمل) ووسام عيد (شيعي مستقل على علاقة بكثير من القوى الحزبية والمستقلة). ويتوقع أن يرتفع عدد المرشّحين قبل إقفال باب الترشيحات في أيلول المقبل، على أن يُشارك في العملية الانتخابيّة نحو 6500 ناخب، معظمهم من ناخبي الأحزاب الذين سدّدوا اشتراكاتهم.

وحده ترشيح الخطيب كسر الأعراف الطائفيّة باعتباره مسلماً يترشّح إلى «منصب مسيحي». وهو ما ترك ارتياحاً لدى العديد من المحامين الذين يعتبرون أنّ «دور النقابة ليس خاصاً بالمحامين، وإنما لها دور وطني بعدما تم إخضاع النقابة على مر العهود السابقة للسلطة التي منعتها من المواجهة الوطنية، وخصوصاً أنّ المسؤولين فيها يتعاطون بطريقة دونية مع السلطة القضائية وحوّلوها إلى نقابة علاقات عامّة مع القضاة والضبّاط ورجال الأعمال». إلا أن هناك شبه إجماع على اعتبار هذا الترشيح بمثابة «تسجيل موقف اعتراضي» لن يوصل إلى النتيجة المرجوّة، «بسبب الأهواء الطائفيّة والمذهبيّة التي تتغلغل في عقول غالبيّة المحامين الذين يرفضون كسر العرف الطائفي»، اضف إلى ذلك أنّ «الأحزاب الإسلاميّة نفسها لن تدعم ترشيح الخطيب حفاظاً على العرف الطائفي»، وهو ما يتكرّر على السنة مسؤولي تيار المستقبل وحزب الله وحركة أمل الذين يؤكّدون عدم رغبتهم في تشكيل «حلف إسلامي - إسلامي» في وجه الأحزاب المسيحيّة.

وإذا كان الخطيب الذي خاض معركة «كم الأفواه» بعد قرار مجلس النقابة الحالي منع المحامين من الظهور الإعلامي، واضحاً في انتمائه بعد تجربة نقابية طويلة، كان آخرها في لجنة صندوق التقاعد، يحاول المرشحون الآخرون إخفاء «الدعم السياسي» الذين يحظون به، فيما تؤكد مصادر متابعة أنّ «الأحزاب بدأت بفكّ المال والخدمات من حساب النقابة لدعم مرشحيها الذين ينكرون انتماءاتهم».

مع ذلك، يؤكّد المتابعون أنّ من المُبكر الحديث عن تحالفات سياسيّة قبل إقفال باب الترشيحات، وخصوصاً أنّ بعض الأحزاب تدعم أكثر من مرشّح. فلحزب الكتائب، مثلاً، مرشحان أحدهما «رسمي» هو فادي المصري وآخر «مستتر» هو الكسندر نجّار، رغم أن الأخير ينفي أن يكون مرشح الكتائب، ويؤكد أنّه «مستقل أحظى بدعم من كل الطوائف والقوى السياسية ومن بينها مجموعة من الكتائب تدعم ترشيحي بعدما اظهرتُ خلال فترة عضويتي في مجلس النقابة استقلالية واعتدالاً في أدائي». ويضيف: «منصب النقيب هو مركز مهني لخدمة المحامين وليس مركزاً سياسياً يخضع للاصطفافات السياسيّة».

مهما يكن أمر، فإنّ الترشيحين فجّرا خلافات داخل الكتائب وصلت الى حد تقديم أحد المحامين استقالته من الحزب من دون أن تُقبل. ويعود ذلك إلى إصرار النائب نديم الجميّل على ترشيح المصري بدفع واضح من رئيس مجلس إدارة «سوسيتيه جنرال» أنطون الصحناوي، وهو ما أثار اعتراض عدد من القياديين الكتائبيين، على رأسهم النائب الأول لرئيس الحزب نقيب المحامين السابق جورج جريج الذي يميل إلى ترشيح مستقل يميل إلى الكتائب، وهو ما ينطبق على نجّار الذي يُعدّ من الدائرة اللصيقة بجريج. وبحسب المعلومات، فإنّ رئيس الحزب النائب سامي الجميّل ووالده الرئيس السابق أمين الجميل يميلان أيضاً إلى دعم نجّار كمستقل يدور في فلكهما، إلا أنهما يحاولان تجنّب زيادة الشرذمة في صفوف «حزب الصيفي» وإغضاب أبن بشير، ولذلك

مرشحان للكتائب و3 محسوبون على التيار ومقرّب من ستريدا يحظى بدعم القوات

«يعضّان على الجرح»، وخصوصاً أنّ الإبقاء على الترشيحين يعني أن يأكل المصري ونجّار من «الصحن الكتائبي»، ما يصعب عليهما الانتقال إلى المرحلة الثانية من الانتخابات لاختبار النقيب، علماً أن كتائبيين ينفون وجود انقسام، ويؤكدون أن المصري هو المرشح الوحيد للحزب ولا دخل لنديم الجميّل بتسميته، إذ إنّ ترشيحه أتى بعد مؤتمر المحامين الكتائبيين، مشددين على أنّ هناك «التزاماً عاماً من جميع المنتمين إلى الحزب، وعلى رأسهم جريج بالتصويت للمصري». حال الكتائب من حال التيار الوطني الحر الذي رشّح فادي الحداد، فيما يحظى المرشحان المستقلان اسكندر الياس وإبراهيم مسلّم بكتلة ناخبة من جو «التيار»، ما يعرّض ترشيح الحداد للخطر، رغم تأكيد مسلّم «أنني مستقل وغير محسوب على أي طرف حزبي»، وأنّ «خبرتي النقابية في العمل على استرجاع أموال المحامين وتأمين التغطية الاستشفائية لهم هي أهم إنجاز لي، ومنها سيكون مشروع الانتخابي». حزب القوات اللبنانية، من جهته، حسم خياره بدعم عبدو لحود المقرّب من النائبة ستريدا جعجع لكونه وكيل الدفاع عن بلديّة بشري، علماً أن لحود يشدد، هو الآخر، على انّه «مستقل ويحظى بدعم من القوات التي تبحث عن ترشيح شخصيّة تحمل الكفاءة وتجربة العمل النقابي الطويل وكونه على مسافة واحدة من الجميع»، لافتاً إلى «أنني أطلقتُ حملتي الانتخابية من مقر النقابة في النبطية تأكيداً على الوحدة الوطنية، وخصوصاً أن ترشيحي هو تتويج لعملي المهني».

وفي معركة العضويّة، رشحت حركة أمل شوقي شريم، فيما لا مرشح للحزب التقدمي الاشتراكي الذي ترك الحسم حتى اللحظة الأخيرة لتشكيل تحالف يخدم وصول أحد مناصريه إلى عضوية مجلس النقابة، والأمر نفسه ينطبق على تيار المستقبل الذي لم يفرغ بعد ما في جعبته، وإن كانت مصادره تلمّح إلى إمكانيّة أن يصب ناخبوه لمصلحة لحود، من دون أن يخوض معركة العضوية باعتبارها خاسرة على الأرجح.

ولا يستبعد متابعون أن يؤثر الواقع السياسي على التحالفات الانتخابية كما في الانتخابات الماضية، فيخوض الثنائي الشيعي وتيار المستقبل والاشتراكي معركة العضوية معاً، على أن تُترك التحالفات في المرحلة الثانية، أي انتخاب النقيب، إلى ربع الساعة الأخير.

(هيثم الموسوي)

تقرير

استنفار وقلق من عودة الانفجار إلى عين الحلوة؟

أمال خليله

زاد منسوب التوتر ليل أمس في عين الحلوة بعد رصد مقاتلين من فتح يرفعون أعلام الحركة على مدرسة مرج بن عامر، ويستحدثون الدشم والسواتر على نوافذها ومداخلها. بالتزامن، رصد مقاتلون آخرون ينصبون منصات قذائف الهاون والصواريخ فوق مركز سعد صايل الفتحاوي في جبل الحليب المشرف على المخيم. وشكلت تحركات أمس ذروة الاستنفار العسكري الذي التزمت به الحركة منذ انتهاء اشتباكها الأخير مع مجموعة الشباب المسلم، بداية الشهر الجاري.

وفق مصدر أمني، فقد «استنفر الإسلاميون بوجه الفتحاويين وتأهبوا لإطلاق النار عليهم، إلا أن عصبة الأنصار لجمتهم للقيام باتصالات مع قيادات فلسطينية ولبنانية للتحقق من نية الحركة لفتح المعركة من جديد». في هذا الإطار، «اتصل رئيس الحركة الإسلامية المجاهدة الشيخ جمال خطاب بمسؤول الملف الفلسطيني في حركة أمل محمد الجباوي، طالباً التواصل مع الجيش لمراجعة فتح حول مخططها العسكري».

أتباع العصبة وخطاب استنفروا أيضاً لأن «منصات الصواريخ والقذائف التي نصبت في جبل الحليب وجّهت نحو معاقل العصبة في حي الصفصاف وليس فقط باتجاه الطوارئ والتعمير حيث يتمركز الإسلاميون، حيث إن المدرسة التي تحصنت فيها فتح ملاصقة لحي الصفصاف».

مقاتلو قوات الأمن الوطني الفلسطيني لم يتراجعوا عن استنفارهم منذ فرض وقف إطلاق النار قبل نحو أسبوعين. ولم يخلُ مواقعهم والبيوت والمؤسسات التي احتلوها، بل إن قيادة القوات، وفق مصادر متابعة، «عززت التحصينات وأدخلت أسلحة

اتهامات لفتح بشراء ذخائر واستقدام مقاتلين وبناء التحصينات

ومقاتلين من مخيمات الشمال وصور تمهيداً لمعركة الثأر من الإسلاميين رداً على اغتيال قائد القوات في صيدا أبو أشرف العرموشي وأربعة من مرافقيه».

في هذا الإطار، لفتت المصادر إلى أن حركة فتح «أنفقت مئات الآف الدولارات على شراء الأسلحة والذخائر من التجار في المناطق مهما زادت أسعارها، في ظل تسهيلات أمنية حظيت بها على مداخل المخيم مكّنتها من إدخال تلك الكميات».

من جهتها، نفى أمين سر حركة فتح في لبنان فتحي أبو العردات وجود نية عند الحركة بفتح الجبهة، مدرجاً تحركات أمس في إطار التحصينات العسكرية الاعتيادية. في المقابل، لم تكن تحضيرات بقايا جند الشام وفتح الإسلام وداعش أقل مستوى. ففي مجمع المدارس الواقع بين حيّي التعمير والطوارئ والبستان اليهودي، احتل الإسلاميون إحدى المدارس واستحدثوا تحصينات ودشما بالإغنبال يظهرون في المقاطع. لكن المشتبه فيه الرئيسي بلال بدر لا يظهر في المقاطع التي التقطت بالتزامن مع وقوع الاغتيال في مكان آخر. وفي معطى لافت، تبيّن للجنة بأن «الشرطة الكاميرات المصوّبة نحو مراب السيارات، حيث وقع الاغتيال قبالة مجمع المدارس، قد سحبت قبل نحو خمسة أيام من بدء الاشتباك في 29 تموز الفائت!».

ملموسة. وقال «الشباب المسلم» إنهم عرضوا أمام أعضاء اللجنة المقاطع المصورة التي التقطتها كاميرات المراقبة في حيّي الطوارئ والتعمير، وتثبت بأن عدداً من المشتبه فيهم

قضية

مافيات المولّدات في الضاحية: «ضريبة» على الطاقة الشمسية

فوّاد بزي

خافتة هي أصوات المعترضين على أصحاب المولّدات، وتسعيرتهم في الضاحية الجنوبية. لكن هذا لا يعني أن الأمور تسير على ما يرام. عدم الالتزام بتسعيرة الوزارة، التي حدّدتها الشهر الفائت بـ«31870 ليرة عن كلّ كيلوواط ساعة في المدن السّاحلية»، هو الغالب. فالدفع في معظم أحياء الضاحية بالدولار، أي 40 سنتاً لكلّ كيلوواط ساعة، وتصل في بعض الأحياء إلى 70 سنتاً، أو ما يوازيها بالليرة وفقاً لسعر الصّرف الأدنى مقابل الدولار.

ألواح الطاقة الشمسيّة لم تساعد كثيراً في تخفيف فواتير الاشتراكات، إذ إن لأصحاب المولّدات حسابات أخرى الذين يفرض بعضهم «ضريبة طاقة شمسيّة» على المنازل التي تستفيد من هذه الأنظمة. ففي منطقة الشويفات، مثلاً، يفرض صاحب اشتراك 10 دولارات شهرياً «خوّة» على المستفيدين من ألواح الطاقة الشمسيّة في نطاق عمله، حتى لو قرّروا فكّ الاشتراك، قبل «السّماح لهم بتركيب الألواح، تحت طائلة تكسيرها». وفي منطقة الرّادوف، يأخذ صاحب أحد المولّدات من المشتركين الذين يودّون المحافظة على الاشتراك، بالإضافة إلى الطاقة الشمسيّة، 20 دولاراً شهرياً «مقطوعة»، حتى لو لم يسجّل العدّاد أيّ مصروف خلال الشهر. وفي أحياء أخرى من الضاحية، مثل حي ماضي وأجزاء من معوّض، لا تزال «المقطوعة» أو ما يُعرف بـ«الديجنتير» على قيد الحياة. ولا تصل الكهرباء إلى البيوت، وفق هذه الصّيغة، لأكثر من 14 ساعة يومياً مقابل 120 دولاراً شهرياً. كما لم تشفع العودة الجزئية للتيار الكهربائي في تخفيف التسعيرة، بل على العكس، زادت فاتورة الخدمة الرّسمية، المحتسبة على سعر صيرفة، من أرق الناس، إذ لم تقل عن مليون ونصف مليون ليرة، أضيفت إلى مصاريف العائلات، من دون الوصول إلى الاستدامة في التيار الكهربائي. وأمام هذه الحال، يعمد كثيرون إلى «تقديم طلبات بالعودة إلى الآعيب أصحاب المولّدات، ينقل المشتركون في عدد من مناطق الضاحية روايات أقرب إلى الأفلام البوليسيّة. أصحاب الاشتراكات يستخدمون كلّ الطرق الممكنة للتملص، وزيادة أرباحهم بمضاعفة المبالغ المتوجّب على المشتركين دفعها. أحدهم يضيف 5 دولارات على كلّ فاتورة تحت عنوان «دعم سعر المازوت»، رغم أنّه يحصّل فواتيره بالدولار. وآخر يضيف 3 دولارات على بدلات الاشتراك لـ«تغطية فرق سعر الصّرف»، كما يدّعي.

> **3 دولارات على بدل الاشتراك لـ«تغطية فرق سعر الصّرف» رغم تقاضيه بالدولار!**

وفي منطقة الكفاءات، يحتال بعض أصحاب الاشتراكات حتى بطريقة كتابة الفواتير، فيحدّدون سعر الكيلوواط ورقياً بنفس تسعيرة وزارة الطاقة، و«على عينك» يتقاضون 55 سنتاً مقابله، بالإضافة إلى 15دولاراً كبدل ثابت للعدّاد، وعند المراجعة يأتي الجواب «إذا مش عاجبك فك». ولإبعاد شبح الملاحقات الأمنيّة «المعلّقة»، يسجّل بعض أصحاب الاشتراكات على الفواتير عبارات ملتبسة لا تشير إلى أنّها صادرة عن «صاحب مولد كهربائي، مثل «بدل اشتراك»، من دون تحديد ماهية الاشتراك. آخر لا يذكر على الفاتورة أنّها صادرة عن صاحب مولّد كهرباء، فتصدر الفواتير باسم «سوبرماركت» أو «مطبعة».

تقرير

صراع في إقليم التفاح على تقنين الكهرباء أم على سرقتها؟

أمال خليل

كلما اشتدت أزمة «كهرباء الدولة»، استعر الصراع على «كهرباء الليطاني». قبل الانتخابات النيابية في 2022، لاحت فتنة طائفية في البقاع الغربي بين أهالي البلدات الموصولة بمعامل إنتاج الطاقة الكهرومائية التابعة للمصلحة الوطنية لنهر الليطاني، وأهالي تلك غير الموصولة. وصارت «كهرباء الليطاني» التي تتوافر لأكثر من 14 ساعة يومياً، جزءاً من البرامج الانتخابية للمرشحين. سياسيون وأمنيون، ومن خلفهم بعض المعنيين في مؤسسة كهرباء لبنان المسؤولة عن توزيع كهرباء الليطاني، فرضوا تسوية اعتبروها مخرجاً لوأد الفتنة، فاقتطعوا حصة «سنية» وأخرى «مسيحية» من البلدات المجاورة لبحيرة القرعون المستحقة لكهرباء الليطاني، وحوّلوها إلى بلدات أخرى أشركت بالشبكة لتستفيد بساعات تغذية قليلة تضاف إلى تغذية التيار الكهربائي من المعامل الحرارية. إلا أن أيّاً من هذه التسويات لم تتطرق إلى إزالة التعديات على الشبكة، ما يقلّص التغذية اليومية التي تراجعت من 20 أو 18 ساعة في اليوم إلى أقلّ من 14 ساعة، إذ إن معامل وكسارات وورشاً صناعية ومحال للقمار الإلكتروني و«البيتكوين» تسطو على «كهرباء الليطاني»، ما يزيد الحمولة على الشبكة ويتسبّب بأعطال وانقطاع.

تجربة البقاع الغربي استنسخت بين جزين وإقليم التفاح. للمرة الأولى منذ إلحاق بلداتها بالمعامل الكهرومائية في الخمسينيات من القرن الماضي، تتنازع البلدات على «كهرباء الليطاني». النزاع تحوّل من طائفي بين جزين وجبل الريحان وإقليم التفاح إلى «صراع داخل الطائفة الواحدة» بين جباع من جهة، وكل من كفرحتى وعين قانا. الاستهلاك الإضافي الذي سجّل على الشبكة وادى إلى انقطاع الكهرباء في البلدات المستفيدة من الخط الرقم 3، فجّر «انتفاضة» عين قانا قبل يومين

> **تسويات طائفية لـ«كهرباء الليطاني» لا تشمل إزالة التعدّيات**

للمطالبة بإعادة البلدة إلى الخط الرقم 1 كما كانت منذ أكثر من عشر سنوات، قبل أن تزال لتمنح حصتها إلى البلدات الجزينية المستفيدة من الخط الرقم 1. «لماذا بقيت جباع وأزيلت عين قانا من الخط الرقم 1 الذي تتوافر عليه تغذية تصل إلى 20 ساعة يومياً؟»، تساؤل حمل طابع نظرية المؤامرة لدى بعض أهالي عين قانا. منهم من اعتبر جباع «محظية» لأنها قبلة سياحية، ومنهم من عزا الأمر إلى أسباب حزبية. بعض شبان عين قانا لم ينتظروا حسم السبب، بعد سلسلة اعتصامات في الأشهر الأخيرة، بادروا قبل أيام، إلى التصرف بمحطة تحويل الكهرباء وفصل بلدتهم عن شبكة الخط الرقم 3 والحقوها بالخط الرقم 1. وبرّر هؤلاء ذلك بالتقنين القاسي الذي سجّل على الخط الرقم 3، ما أدى إلى انقطاع الكهرباء عن محطة ضخ المياه. لكن ما حصل أن الكهرباء قطعت عن كامل البلدات المستفيدة من الخط الرقم 1 بسبب الحمولة الزائدة على الشبكة.

وعلى غرار مخرج البقاع الغربي، اقترح المعنيون تسوية تقضي بتوزيع التغذية بين الخطوط 1 و2 و3 لتصبح 14 ساعة تغذية لكل خط، من دون الالتفات إلى التعدّيات. فهل تهدف التسوية المقترحة إلى تغطية المخالفين النافذين الذين يسرقون المئات من الـ«أمبيرات» في عين قانا وجاراتها؟ في كفرحتي، مثلاً، هناك من يدير استثماراً صناعياً يستهلك يومياً ألف «أمبير»، ويدير في الوقت نفسه شبكة مولدات خاصة، فيستفيد من التقنين القاسي المفروض على الخط الرقم 3 ويسرق «كهرباء الليطاني» من البلدات المجاورة لتشغيل مولداته وتزويد المشتركين، فضلاً عن استثمارات عدة تسرق «كهرباء الليطاني»، منها كسارات ومناشر حجر ومعامل بلاستيك ومحطات تعدين، ما أدى إلى زيادة الاستهلاك بنسبة 20 في المئة في بلدات إقليم التفاح.

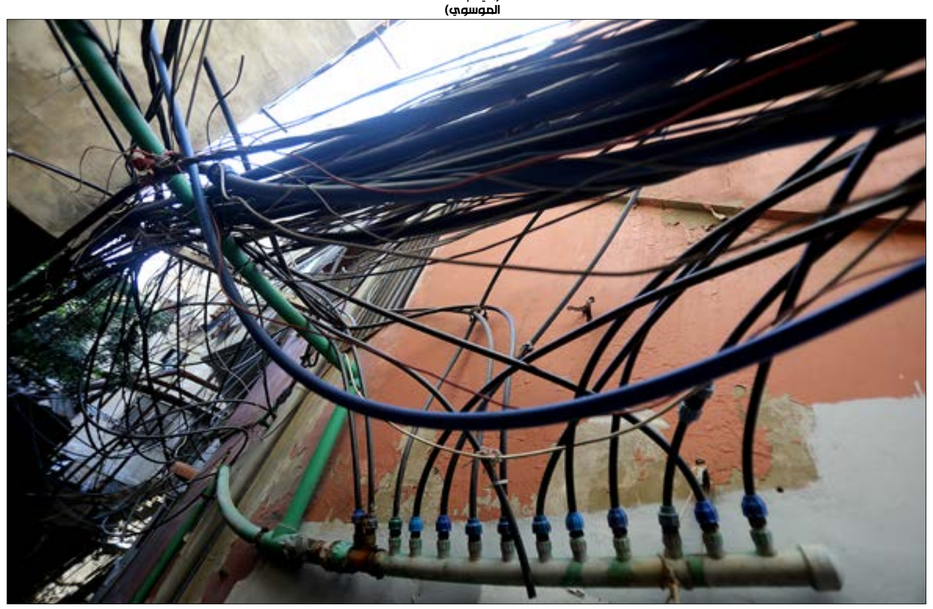
(هيثم الموسوي)

تقرير

تبدل الولاء يطيح بمأمور النفوس

لم تفلح الوساطات لإعادة كنج أبو سعد إلى منصبه مأموراً لنفوس حاصبيا بعد عزله المفاجئ بقرار من وزارة الداخلية والبلديات. ويقول متابعون إن قرار العزل جاء «عقاباً» من الحزب التقدمي الاشتراكي لأبو سعد بعدما بدّل ولاءه من الاشتراكيين إلى التغييريين، وبعد انحيازه علناً في الانتخابات النيابية الأخيرة إلى النائب فراس حمدان وتوثيق تسجيلات له ينتقد فيها الحزب الاشتراكي، صاحب النفوذ الأقوى في التوظيفات في حاصبيا. وجاءت شكوى من مفتي حاصبيا - مرجعيون حسن دلّي لدى النائب وائل أبو فاعور من تلكؤ أبو سعد في إنجاز معاملات الشيخ لتقصم ظهر البعير، إذ طلب أبو فاعور من وزير الداخلية والبلديات بسام مولوي إقالته واستبداله برفعت بركات، المقرّب من النائب الاشتراكي. وقد رفض أبو سعد تسليم الختم لخلفه، ما منع الأخير من البدء بإنجاز معاملات المواطنين، وبدأ وساطات لدى أبو فاعور لإعادته إلى منصبه.

تقرير

مليار مكيّف في العالم أجهزة التبريد وقود «الجحيم العالمي»

حبيب معلوف

(أ ف ب)

مع تغيّر المناخ وزيادة حرارة الأرض، دخل العالم منذ أكثر من ربع قرن في مفاوضات شبه عبثية للتخفيف من الانبعاثات والتكيّف مع التغيّرات المناخية. ولم تلتزم الدول المتقدمة، المسبّبة الأولى للانبعاثات العالمية، بـ«التخفيف» منها، وبقي محور مطالبات الدول النامية هو كيفية تمويل عمليات «التكيف» (مع ارتفاع درجات الحرارة). لكن، عملياً، كان همّ الجميع الشكل الحاسم والفعلي للتكيّف، أي كيفية تركيب المكيفات وتشغيلها.

تُرك للدول والسلطات الحكومية والمحلية الاهتمام بجوانب أخرى من «التكيف»، كإنشاء حيطان دعم على الشواطئ تحسباً لارتفاع مستوى مياه البحار، أو حماية الغابات بالتشجير وزيادة المساحات الخضراء (لزيادة امتصاص ثاني أوكسيد الكربون)، أو التغيير في أسس البناء وتطوير البنى التحتية تحسباً للفيضانات، أو تخزين المياه... الخ، وهي إجراءات لا تزال بعيدة جداً عمّا هو مطلوب فعلاً.

أما على المستوى الفردي والمؤسساتي، فقد زاد استخدام العالم للمكيّفات بشكل واسع، ولا سيما في البلدان النامية التي تستخدم غازات التبريد من نوع (اتش اف سي)، وهي أكثر تأثيراً بما لا يقاس على الاحترار العالمي من ثاني أوكسيد الكربون. هذا التوسع في التكييف، وفق حسابات العدالة المناخية أو وفق حسابات كيفية سدّ الفجوة بين زيادة الانبعاثات وحجم التخفيضات المطلوبة، قد تكون له انعكاسات تساهم في زيادة استهلاك الطاقة والانبعاثات ورفع حرارة الأرض... بشكل متصاعد وجهنمي.

بحسب تقرير للوكالة الدولية للطاقة، ارتفع استهلاك الطاقة الكهربائية هذا الصيف في المنطقة العربية بنسبة 10% مقارنة بالعام الماضي، علماً أن أجهزة التكييف تستهلك بين 50 و75% من الاستهلاك الإجمالي للكهرباء في الأماكن الحارة. وهنا المعادلة واضحة: كلما زادت البلدان النامية نمواً، وكلما زاد ارتفاع درجات الحرارة، ارتفع الطلب على الطاقة الكهربائية الأحفورية الخاصة بأجهزة التبريد، وكبرت فاتورة الطاقة وزيادة الانبعاثات والكوارث المناخية، إذ إن تكييف الهواء مسؤول عن انبعاث نحو مليار طن من ثاني أوكسيد الكربون سنوياً من إجمالي 37 ملياراً في أنحاء العالم... ومع الأخذ في الاعتبار أن الوفيات بسبب زيادة الحرارة أقل بنسبة 75% في المنازل المكيفة، يعني ذلك أن الفجوة في العدالة العالمية ستصبح أكثر اتساعاً، وأنّ من يتحدثون عن العدالة المناخية سيكون وضعهم في غاية الحرج الأخلاقي. وإذا عرفنا أن نسبة المنازل المكيّفة في البلدان المتقدمة قد تصل الى 90% كما هي الحال في الولايات المتحدة، وأن 15% فقط من السكان في البلدان النامية (من أصل 3,5 مليارات من السكان)، يعيشون في هواء مكيّف في المناطق الحارة، وأن للنسبة الأكبر الباقية الحقّ في الوصول الى النسب الموجودة في البلدان المتقدمة ذاتها، نعرف أي مصير ينتظر كوكبنا.

تحصي بعض الدراسات الدولية وجود ما يقارب مليار مكيّف في العالم، مع توقّع أن ترتفع الأرقام مع تحسّن الدخل في البلدان النامية (ولا سيما في الصين والهند وأندونيسيا) بنسبة تتراوح بين 10 و40% بحلول عام 2050، وهو الموعد المتوسط للوصول الى تصفير الانبعاثات العالمية! فأيّ نتائج من جولة المباحثات الدولية تتحدّث ونترقّب نهاية هذا العام في الـ«كوب 28» في دبي؟

انطلاقاً من هذه المعطيات، كيف سيتمّ التعامل مع قضية التبريد والكوارث التي تسبّبها على المستوى العالمي والإقليمي والوطني والفردي؟

لم تعد النصائح بتثبيت الحرارة صيفاً على 24 درجة لتوفير الطاقة، ولا زيادة معايير الكفاءة في التقنيات المستخدمة في التبريد تجدي نفعاً. كما أن البدائل من الغازات المؤذية للمناخ، والتي سبق الترويج لها بوصفها غازات تبريد صديقة لطبقة الأوزون، لا تزال بعيدة المنال بسبب الاختلاف بين المؤسسات الدولية المعنية بقضيّتي تغيّر المناخ واستنفاد طبقة الأوزون، وبسبب المنافسة في الأسواق بين الدول والشركات المستثمرة في قطاع التكييف والتبريد.

وإذ يرى البعض أن الرهان الأكبر هو بالاعتماد على الطاقات المتجددة والبديلة، إلا أن هؤلاء لا يرون الإشكالات المتعددة والمعقّدة التي تعترض هذا الخيار، إذ إن كلفة استخدام الطاقة المتجددة لتشغيل المكيفات لا تزال كبيرة جداً بالمقارنة مع ما توفره الطاقة الأحفورية. وهي تحتاج، على سبيل المثال، إلى استثمارات في الألواح الشمسية والبطاريات والمحوّلات، تتجاوز كلفتها خمسة آلاف دولار على المستوى الفردي، ما يعني أنها لن تحلّ إلا مشكلة لا تتجاوز 10% من سكان البلدان النامية، وهي الشريحة التي لا تزال تصنّف أو الأراضي الحرجية أو الزراعية التي ستحتاج إليها الألواح في حال توسّع استخدامها. يضاف الى ذلك عمر هذه التكنولوجيا الافتراضي الذي يتراوح بين خمس سنوات وعشرين سنة في أبعد تقدير، إضافة الى مشكلة استنزاف الأتربة النادرة التي تصنع منها هذه التقنيات وتحوّل مخلفاتها الى مشكلة جديدة بعد نهاية عمرها القصير.

> **تكييف الهواء مسؤول عن انبعاث مليار طن من ثاني أوكسيد الكربون سنوياً**

فإلى متى الانتقال من كارثة إلى أخرى أكبر بدل الاعتراف بأن النموذج الحضاري المسيطر الذي عرفناه والذي روّج كثيراً وطويلاً لحياة التقدم والتنمية والرفاهية... تسبّب بكل هذه الكوارث، ولم يعد عادلاً، ولا قابلاً للحياة ولا للبقاء؟

اخبار

الاونروا تعلّق خدماتها في عين الحلوة

أعلنت وكالة الأونروا أمس عن تعليق خدماتها في عين الحلوة «احتجاجاً على وجود مقاتلين مسلّحين حول مدارسها ومنشآت أخرى في المنطقة». وفي بيان لها، قالت إنها «لا تتهاون إطلاقاً مع أي انتهاك لحرمة وحياد منشآتها». ولفتت إلى أنه «من غير المرجّح أن تكون المدارس في المخيم مستعدة لاستقبال 3200 طفل في بداية العام الدراسي الجديد بالنظر إلى الانتهاكات المتكرّرة والأضرار الكبيرة التي وقعت».

وفي هذا السياق، نقلت وكالة غوث اللاجئين خدماتها الصحية إلى صيدا مؤقتاً إلى حين استعادة مراكزها. علماً أن المقاتلين من حركة فتح من جهة والإسلاميين من جهة أخرى، احتلوا عدداً من المدارس والمستوصفات منذ اندلاع الاشتباك الأخير في 29 تموز الماضي ولم يخلوها في ظل الحديث عن تحضيرات عسكرية لاستئناف القتال. لكن الهاجس الأكبر الذي يعيشه أهل المخيم يتعلق بتوفير التعويضات لإعادة إعمار المنازل والممتلكات التي تضررت. وحتى الآن، لم تعلن أي جهة نيّتها في التعويض.

صراع أجيال في «تقدّمي» حاصبيا

تتلاحق الحملات ضد رئيس بلدية حاصبيا لبيب الحمرا، وآخرها اتهامات بالاختلاس وهدر المال العام واستغلال منصبه لمصالح خاصة. فيما يدرج مناصروه «الافتراءات» التي يتعرّض لها في سياق خلافات داخل الحزب التقدمي الاشتراكي الذي أوصله إلى رئاسة البلدية عام 2016. ويقول هؤلاء إن «الصراع البلدي» يستبطن صراعاً بين «جناح المحافظين والمشايخ» الذي يتزعمه وهبي أبو فاعور والد النائب وائل أبو فاعور، وبين «جناح الجيل الجديد» الذي انتسب الى الحزب من باب الأنشطة الاجتماعية والكشفية والبلدية وينتمي له الحمرا.

أوبنهايمر أو الافتتان الأميركي بأسلحة الدمار الشامل

أسعد أبو خليل *

فيلم أوبنهايمر أصبح ظاهرة كبيرة في السينما العالميّة وهو حتماً سينال الكثير من جوائز الأوسكار والـ«موريكس دور» ربما. فجأة، ازدهرت دور السينما بعد هجرة الناس عنها منذ ما قبل الكورونا، وحضوري للفيلم كان في أوّل زيارة لي لدار سينما منذ أكثر من خمس سنوات أو ست. وفي ما يلي بعض الملاحظات على الفيلم وعلى كتاب «بروميثوس الأميركي: انتصار وتراجيديا روبرت أوبنهايمر» لكاي برد ومارتن شيرون، الذي بُنِي الفيلم عليه:

أولاً، الفيلم مشغول بعناية ويعتمد على الإبهار الصوتي والسمعي. وهذا ساهم في تجميل الصناعة الرديئة عن تفجير قنابل ذريّة. هناك استعمال التقنيّات بهدف تعظيم أوبنهايمر وتعظيم آلة الحرب الأميركيّة وإضفاء جمالية على السلاح النووي.

ثانياً، الأصوات المتكرّرة لوقع الأقدام وهي تضرب في الأرض كانت بمثابة تذكير مستمرّ من المخرج لخبطات أقدام جنود النازيّة. أراد المخرج أن نرى عمليّة صنع ورمي القنابل الذريّة الأميركيّة من منظور الخطر النازي الداهم. في كل مفصل، نسمع وقع تلك الأقدام بقوّة كي لا ننزع نحو إطلاق الحكم على القرار الأميركي المتفلّت من أي عقال أخلاقي أو قانون دولي.

ثالثاً، المخرج تجاهل في سيرة أوبنهايمر الكثير من الحقائق. أوبنهايمر لم يكُن شجاعاً في مواجهته للحملة المجنونة ضد الشيوعيّة. هو لم يكن شيوعياً يوماً بالمعنى التنظيمي. كان لديه حشرية لمعرفة الفكر الماركسي، وقرأ «رأس المال» لكارل ماركس بالنسخة الألمانيّة وأعمالاً لفلاديمير لينين، لكنّه لم ينضم يوماً إلى الحزب الشيوعي الأميركي. لكن انجذاب المثقّفين والمتعلّمين في ذلك الحين (قبل الحرب العالميّة الثانية، بعد الانهيار الاقتصادي العظيم في عام 1929)، وخصوصاً في جامعة كاليفورنيا في بيركلي حيث علّمَ، لم يكن نادراً أبداً. كان هناك تحسّس لمظالم ووحشيّة النظام الرأسمالي. فرانكلن روزفلت، من خلال ما سُمّي «الصفقة الجديدة» (أي البرامج الاجتماعيّة التي حاولت أن تعيد توزيع الثروة لخلق طبقة متوسّطة تحمي النظام وتدافع عنه بوجه الفقراء المعدمين) أنقذ النظام الرأسمالي من الانهيار ومن الثورة الاشتراكيّة. مرّة أخبرنا المؤرّخ، ألبرت حوراني، باستحالة أن تدرس في «أوكسفورد» أو «كمبردج» في الثلاثينيات ولا تصيبك «رشّة من الماركسيّة». الشيوعية لم تكُن بعد قد تعرّضت للتشويه والإفساد من قبل حكم جوزيف ستالين من ناحية ومن قبل أكاذيب البروباغندا الأميركيّة الهائلة. أوبنهايمر، عندما تعرّض للمساءلة السريّة في لجنة الطاقة الذريّة، فضح كلّ شيوعي مرَّ في حياته بما فيه صديقته التي انتحرت. وكان أوبنهايمر قد قدّم شهادة أمام «لجنة مجلس النواب الخاصّة بالنشاطات المعادية لأميركا» (تلك التي اختُصر نشاطُها في ما بعد بِما أصبح معروفاً بـ«المكارثية»). تعاون أوبنهايمر مع اللجنة ووشى بتلاميذ له في جامعة كاليفورنيا في بيركلي (زوجته هي التي تحدّت اللجنة في شهادتها). هذا إخلال بأبسط علاقات التلميذ مع أستاذه. خان تلاميذه من دون أن يندم على ذلك يوماً، لا بل إنه فضح علاقة صديقه الحميم وزميله، موريس شوفاليه الذي فقد عمله كأستاذ الأدب الفرنسي في جامعة كاليفورنيا في بيركلي بسبب أوبنهايمر، واضطرّ لمغادرة بلاده وهجَر إلى الأبد العمل الأكاديمي إثر وشاية أوبنهايمر. شقيق أوبنهايمر، فرانك، فقدَ عمله الأكاديمي هو الآخر لأن اسمه جُرَّ بسبب وشايات روبرت، إلى أن اضطرّ في ما بعد أن يعلّم في مدرسة ثانويّة. الليبراليّون الأميركيّون تناسوا وشايات أوبنهايمر لأنه عوقب في لجنة استماع لجنة الطاقة الذرية التي نظرت في قضيّته، وحكمت بحرمانه من تصريح السريّة في العمل الحكومي: وهذه عقوبة خفيفة أمام عقوبة هؤلاء الذين حُرموا من العمل أو انتحروا. اللجنة ناقشت مسألة معارضته للقنبلة الهيدروجينيّة، وقال أوبنهايمر إن معارضته كانت تقنيّة محض. وهذا صحيح، لم يكُن هذا معارضاً سلمياً.

رابعاً، الفيلم يتضمّن أكاذيب هائلة عن قرار تفجير القنابل الذريّة، إذ إن اليابان كانت مستعدّة للاستسلام، وهو ما كان معلوماً عند الحكومة الأميركيّة على أعلى المستويات. الجنرال دوايت أيزنهاور اعترف بذلك في مذكّراته، قائلاً إن وزير الحربيّة زاره في مقرّه في ألمانيا في عام 1945 وأعلمه بنيّة الحكومة رمي قنابل ذريّة على اليابان. قال أيزنهاور عن ذلك: «صارحته بتحفّظاتي الكبيرة، أولاً على أسس اعتقادي أن اليابان كانت مهزومة في ذلك الحين ولأن رمي القنبلة الذريّة غير ضروري أبداً. وثانياً رأيتُ أن بلدنا يجب أن يتجنّب صدم الرأي العام العالمي»، وخصوصاً لأنه رأى أن القنبلة لم تكُن ضرورية لإنقاذ حياة الأميركيّين. كان يرى أن كل ما كانت تحتاجه اليابان هو استسلام مشرّف. غضب وزير الحربيّة من رأي أيزنهاور (راجع: دوايت أيزنهاور، «سنوات البيت الأبيض: برنامج للتغيير، 1953-1956، رواية شخصيّة»، ص. 312 - 313). هاري ترومان كذبَ على الشعب الأميركي، وعلى العالم أجمع. هذا ليس في الفيلم. كان ترومان يقول إن رمي القنبلة الذريّة سيوفّر حياة 20 ألف أميركي وأن الرقم هو كلفة اجتياح أميركي ضروري لليابان من أجل هزيمتها، (وهو كان جاهلاً بشؤون العالم كلّه. ومن خلال مراجعة رسائله عندما حارب في أوروبا في الحرب العالميّة الأولى، تجد أنه كان ذا عقليّة محدودة ومعرفته لا تتعدّى نطاق الضيعة التي جاء منها). لكن اليابان كانت مهزومة، والرقم الذي أورده ترومان تغيّر. فعندما اتضح أن أميركا قتلت أكثر من مئة ألف ياباني مدني في أول قنبلة، بدأت تقديرات اجتياح اليابان من قبل القوات الأميركيّة ترتفع بالتدريج. أصبح 40 ألفاً ثم 50 ألفاً ثم أكثر من مئة ألف. كانت الحكومة الأميركية تريد أن توازي بين ضحايا متخيّلين وبين ضحايا يابانيّين مدنيّين حقيقيّين. والحكومة الأميركيّة كانت تتحضّر لرمي القنابل الذريّة ولهذا في قصفها «الاستراتيجي»، فإنها تركت هيروشيما وناكازاكي وغيرهما من دون حرق، كحقول اختبار مستقبليّة للقنابل الذريّة (القصف الاستراتيجي على اليابان هو مصطلح «جراحي» أطلقته الحكومة الأميركيّة على عمليّات الحرق اليوميّة لمدن مثل طوكيو. أحرقت أميركا نصف مساحة الكثير من المدن الرئيسة بما فيها طوكيو). الحكم النازي كان قد انهار وترومان أراد أن يرسل رسالة تخويف قويّة لحليفه المؤقت في موسكو. وطبعاً، كان من الصعب على أميركا رمي القنابل على الشعب الأوروبي الأبيض ولهذا فإن الهدف الياباني كان مؤاتياً عرقياً. والقنابل الذرية أتت على إثر عمليات القصف «الاستراتيجي» التي قتلت، في ليلة واحدة، أكثر من مئة ألف ضحيّة مدنية في طوكيو. أوبنهايمر أعطى تعليمات تفصيليّة للطيّارين الأميركيّين كي يكون التدمير في هيروشيما وناكازاكي أكثر تأثيراً، أو أكثر تدميراً.

خامساً، لم يكن هناك سبب عسكري لرمي القنبلة الذريّة الثانية بعد هيروشيما. سبب الثانية كان تجريبياً محض. كانت أميركا تريد أن تقارن بين القنبلة المصنّعة عبر نظائر اليورانيوم والأخرى عبر نظائر البلوتونيوم. هي دراسة عن وقع التدمير.

سادساً، لم يُظهر الفيلم مشهداً واحداً للضحايا في اليابان. ولا أيّ مشهد في فيلم طويل للغاية. أحد التعليقات المغرورة في «لوس أنجليس تايمز» خمّنت أن تجاهل ضحايا اليابان كان احتراماً لهم. تحترم الضحايا عبر نسيانهم؟ الفيلم تخصّص في إبراز مشاهد التفجير في «ترينتي» أي التفجير التجريبي. وحتى التفجير التجريبي كان له ضحايا من السكّان الأصليّين في الولاية. وإقامة المنشأة في «لوس اولموس» تطلّب «إزاحة» الآلاف من السكّان الأصليّين. هؤلاء الضحايا تمّ تجاهلهم أيضاً احتراماً لهم؟ والإشعاعات أضرّت بالسكان بعد التفجير. الفيلم صوّر الانفجار بصورة مُبهرة. ألوان وغيْمة من النيران. توماس هيل، العالم الذي ترك أميركا وغادر إلى بريطانيا بعد الحرب، وحده رفض المشاركة في حفلة الرقص المجنونة التي تلت التفجير. هو الذي قرّر تسريب معلومات إلى الاتحاد السوفياتي لأنه خاف من وحدانية السيطرة الأميركيّة. (هناك فيلم وثائقي جديد عنه وعن زوجته الشيوعية. وهما لم يندما على فعلته). لم يشعر أوبنهايمر البطل بأي ندم ولم يختلف مع قرار تفجير القنبلة النووية فوق رؤوس المدنيّين في اليابان. كلّ ما فعله أنه استعار نصاً هندوسياً أمام الكاميرات في ما بعد، كي يبدو رومانسياً.

سابعاً، الفيلم لم يقبل بنأي أوبنهايمر بنفسه عن اليهوديّة. لماذا لا يكون من حقّ المرء مغادرة دينه لو أراد. في أميركا، هناك معياران متناقضان. المسلم الذي يغادر دينه هو بطل واليهودي الذي يغادر دينه خائن وخسيس. لكن الثقافة الهوليووديّة والصهيونيّة تضايقت من ابتعاد أوبنهايمر عن اليهودية. لم يعنِ له الدين اليهودي شيئاً وهو، مثل الكثير من العلماء، ملحد. وكان اقترب من التصوّف الهندي لكن لم ينضوِ في دين معيّن. الكتاب، والفيلم الذي بُنيَ عليه الفيلم، أكثرَ من إقحام أوبنهايمر في اليهوديّة. لكن أوبنهايمر زار دولة إسرائيل بدعوة من مؤسّسة «وايزمان» والتقى بديفيد بن غوريون. وتفيد وثائق تلك الفترة بأنه حذّر زعماء إسرائيل من الدول العربيّة المعادية لها. هل قدّم أوبنهايمر مساعدة لدولة العدوّ في برنامجها النووي؟ ليس من دليل على ذلك. كما أن الدولة لم تكن تحتاج بسبب المساعدة من فرنسا ثم من أميركا.

ثامناً، الفيلم يظهر أوبنهايمر كنموذج للإنساني الأميركي. هو يلقي وبحماس قنابل ذريّة على الآمنين في اليابان لكنه إنساني فقط لأنه كان يبدو حزيناً. يكفي ذلك كي تُبرّأ ساحته وضميره.

تاسعاً، يُجمع الفيلم على أن حيازة أميركا للسلاح النووي يشكّل أمناً للبشريّة جمعاء مع أن أميركا هي الدولة الأكثر تساهلاً في استعمال وتخزين السلاح النووي وأسلحة الدمار الشامل. لم تكن أميركا تكتفي بكنز السلاح النووي بل هي أصرّت على مراكمة القدرات التدميرية وكانت تنوي استعمال القنبلة الهيدروجينيّة لو لم تنتهِ الحرب (هي فكّرت برمي السلاح النووي في الحرب الكوريّة وقال ترومان ذلك صراحة في مؤتمر صحافي في نوفمبر 1950. صُعق العالم يومها وأرسلت بريطانيا رئيس وزرائها من أجل ثني الحكومة عن عزمها). وكان العالم يحبس أنفاسه في أيام أزمة الصواريخ الكوبيّة لأنه كان يعلم أن أميركا كانت على وشك تدمير كوبا بالنووي. كان الجنرال كورتيس لوماي يحثّ جون كينيدي على قصف الجزيرة بالنووي طوال الأزمة (والجنرال هذا هو نفسه الذي أشرف على حرق اليابان بالأسلحة التقليدية قبل حرق هيروشيما ونكازاكي بالنووي).

عاشراً، العلماء في لاس أولموس انخرطوا في حمّى الحرب الوحشية من دون وازع وكان أوبنهايمر منهم. لم يكُن هناك أي سبب عسكري للمضي بعد هزيمة ألمانيا. كانت الحرب هي حرب الإصرار على التفوّق الأميركي وافتتان الفيلم بجمالية التفجير التجريبي التي نبعت من انجرار مجموع العلماء في مشروع الحرب من أجل الحرب. أصبح إنتاج أسلحة الدمار الشامل من أصول العلم. ونزوع عدد من العلماء إلى مدّ الاتحاد السوفياتي بالمعلومات كان نتيجة الخوف من افتتان الحكومة الأميركيّة بهذه الأسلحة. لم يكُن هناك على وجه البسيطة من كان أقلّ كفاءة من ترومان في اتخاذ قرارات تؤثّر على السلم الأهلي. والاجتماع بين أوبنهايمر وترومان لم يكُن إلا من باب رفع العتب. أوبنهايمر كان يريد إشرافاً دوليّاً على السلاح النووي لكن هذا تلى مشاركته في إطلاق القنابل الذريّة. لن تكترث هوليوود بتكريس فيلم لضحايا هيروشيما وناكازاكي. هذا يخدش صورة الإمبراطوريّة.

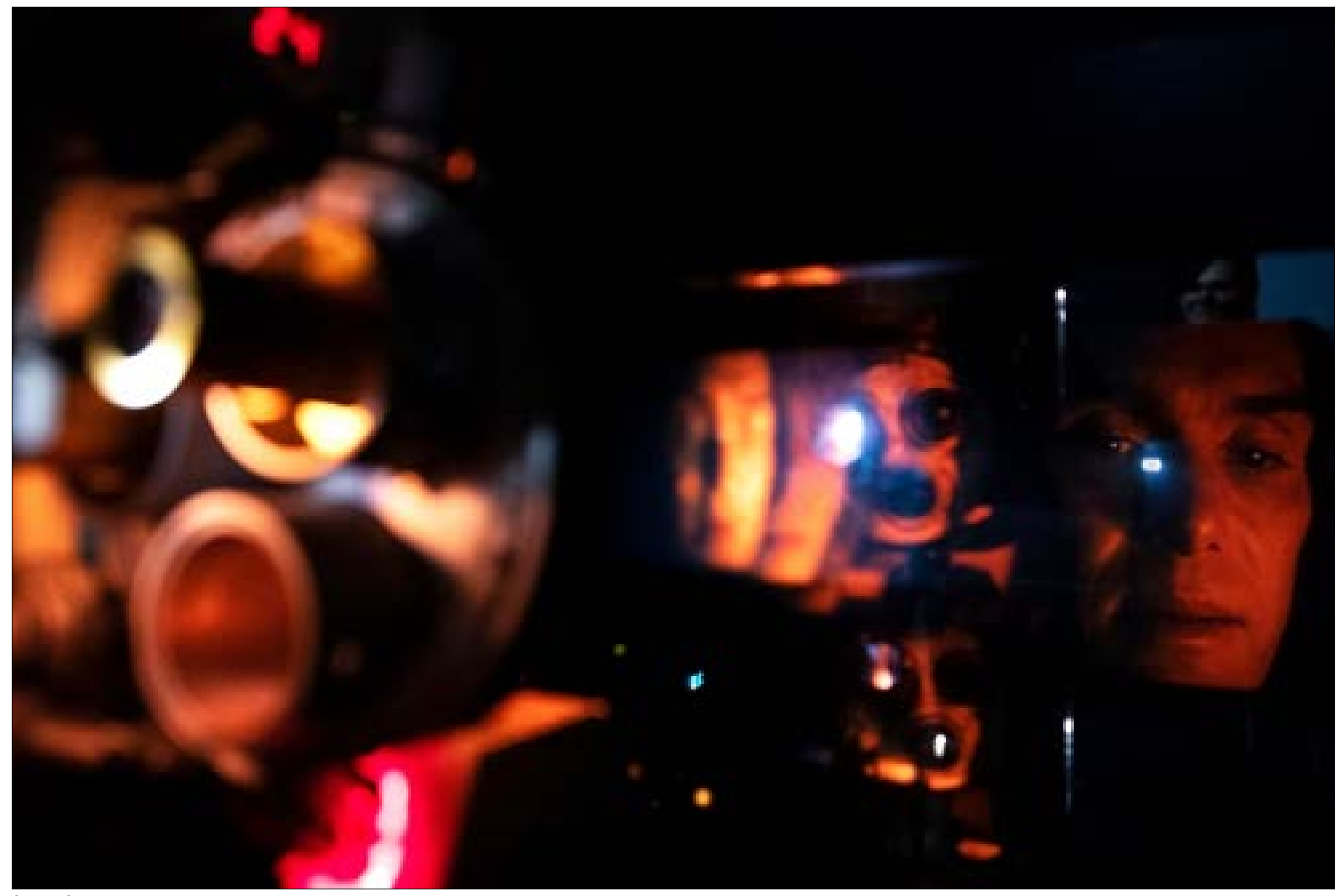
(أ ف ب)

> لن تكترث هوليوود بتكريس فيلم لضحايا هيروشيما وناكازاكي، فهذا يخدش صورة الإمبراطوريّة

* كاتب عربي - حسابه على تويتر
@asadabukhalil

موسى الصدر في النجف الأشرف
استكشاف تجربة مانديلا العراق

صادق النابلسي *

مرّ وقت طويل على غياب الإمام موسى الصدر. غياب لم يتسبّب بتغييبه بل كشف موقعه الحقيقي كجبل لا يُرى جميلاً وعظيماً إلا من بعيد. الصدر الذي لم نجده مباشرة على القمة، مرّ في مشواره الفكري والجهادي على أماكن صقلت روحه، ومنحته عوالمها طاقة وحيوية على العمل والركض والقتال. وما كان حلماً عندما وقف على بوابات الكتاب المدرسي وخنادق النضال، صار على يديه واقعاً وجزءاً من حياة شعب وأمة. في هذه المقالة نقف عند لمحات من تجربته النجفيّة التي تستحق أن تُروى بكل تفاصيلها لأنها حتماً كانت مرتبطة جوهرياً بما أحدثه الصدر في لبنان، ولكن كيف لنا ذلك ولكل أرض أسرارها التي لا نعرف عنها إلا القليل.

لم تحظَ المرحلة النجفيّة أو الفترة التي عاشها الإمام الصدر في النجف الأشرف بالدراسة الكافية، ولا سُلّط عليها الحديث كثيراً في الكتابات التي تناولت شخصيته وفكره وحركته. ربما يعود سبب ذلك إلى شحّ المعلومات من جهة، أو لكون المرحلة تلك لم تكُن قد أبرزت الصدر كشخصية سياسية وإصلاحية معروفة ليتمكن الباحث من رصد أدواره الميدانية في المجال السياسي والحقل الاجتماعي والتجديد الديني لدراستها والإحاطة بها عن كثب. ومَهمّة هذه المقالة هي الإضاءة - بما توفّر من معلومات - على حقبة زمنية تُعتَبر معبراً لتطلعات رجل شكّل نضاله الشخصي بمنحنياته الفكرية ومنعطفاته السياسية جزءاً من هوية اللبنانيين وتاريخهم المعاصر.

يمكن القول بداية إنّ الطابع العام المميز لهذه المرحلة هو الطابع الفكري الثقافي ولكنّها كالفترة التي عاشها في إيران مصحوبة بولع السياسة. ذلك أنّ الاهتمام بالسياسة، عند الصدر، جزءٌ لا يتجزأ من منظومة الاشتغال الفكري والتخصص العلمي. السياسة مكوّن من المكونات الثقافية العامة التي كان على الصدر الاقتراب منها واكتشاف مبادئها ومصطلحاتها وموضوعاتها. والمجال السياسي يجب أن يُطرق من مدخل دور الدين في الحياة الاجتماعية، وكيف يمكن تشكيل إطار سياسي للقيام بدور مستقبلي تنعكس تأثيراته على أوضاع الأمة الغارقة في العجز والتخلف والهامشية. وقد انطلق الصدر من اعتقاد أنّ المشاركة في الحياة العامة هو التحدي الحقيقي الذي يواجهه علماء الدين، وكيف يمكن لهم أن يكونوا جزءاً فاعلاً من سيرورة الحداثة والمعاصرة وموارد القوة. ويمكن ملامسة هذا الاتجاه من خلال الحوار الذي جرى بين الصدر وابن عمه المفكر والفيلسوف الكبير السيد محمد باقر الصدر وذلك قبل مجيء الصدر إلى لبنان، إذ يقول له: «لا يمكنني البقاء في الحوزة وأُرضي نفسي بالعمل داخل الحوزة على الطريقة التقليدية لمن يبلغون هذا المستوى للوصول إلى المرجعية. وإنني أشعر أنّ من واجبي أن أكون بين الناس وأن أبدأ بالتحرك من خلالهم ولا تكفيني الحركة الفقهية الاجتهادية. كلانا نسعى لهدف واحد ولكن بطريقتين مختلفتين».

وقبل الخوض في شكل وطبيعة الاشتغال السياسي الذي قام به الصدر في العراق لا بدّ من التوقف حول الدوافع التي أتت به إلى النجف والفترة الزمنية التي قضاها هناك. يواجه الباحث بداية تساؤلاً طبيعياً عن سبب انتقال طلبة حوزة قم المقدسة إلى حوزة النجف الأشرف، وخصوصاً في تلك الفترة مع وجود مرجعيات لها ثقلها العلمي كآية الله العظمى البروجوردي والحائري والخوانساري والقمي وأبو الحسن الأصفهاني وغيرهم. وعن سبب انتقال الصدر تحديداً من الحوزة القمّيّة إلى الحوزة النجفيّة. والإجابة عن هذا التساؤل في شقه الأول له صلة بما التزم به فضلاء الحوزة من الإيرانيين ودأبوا عليه منذ مئات السنين بالهجرة العلمية إلى النجف الأشرف. أمّا في ما يتعلق بدواعي الإمام الصدر فيمكن ملاحظة الاعتبارات الآتية:

أولاً، تأتي هجرة الصدر إلى النجف كما يقول زميل الدراسة السيد محمد باقر الحكيم «بسبب الأهداف العلمية باعتبار أنّ المستوى العلمي في حوزة النجف، حينذاك، كان لا يمكن أن يُقاس بالمستوى العلمي الموجود في حوزة قم»، فقد احتفظت حوزة النجف وهي الجامعة الأولى للشيعة كحاضنة للعلم والمعرفة بالخصوصية والفرادة واستمرارية هذه البرازة، ما جعلها قبلة لكل من يسعى للاستزادة والارتقاء في المعارف الدينية. (يذكر أنّ الصدر حضر درس السيدين الحكيم والخوئي والشيخ مرتضى آل ياسين وآخرين).

ثانياً، «(...) التواصل مع الأسرة، أي الفرع العراقي من أسرة آل الصدر» على ما يقوله الشيخ محمد مهدي شمس الدين. إذ من المعروف أنّ جده لأبيه وهو السيد إسماعيل بن صدر الدين بن صالح كان مستقراً في العراق وبلغ به المقام حتى تولّى سدّة المرجعية العامة. وبينما هاجر صدر الدين بن إسماعيل (والد الإمام الصدر) العراق إلى إيران، ظلّ أشقاؤه الثلاثة فيه. ومن هنا يتضح أحد أبعاد عودة الإمام إلى العراق، بحسب هذا التحليل، ليتعرف إلى جذوره في هذا البلد، وليبحث عن قرب في تاريخ الأسرة سياسياً وثقافياً وعلمياً. ولكن يبدو لنا أنّ هذا الدافع لم يكن إلا دافعاً عرضياً لم يشكل بالنسبة إلى الصدر ضرورة ملحة وهدفاً من أهداف الهجرة التي من أجلها وصل النجف.

ثالثاً، الطابع الرمزي الذي تمثله النجف الأشرف في ذهن طلاب العلوم الدينية ووجدانهم، حيث كان التقليد الشائع بين العلماء والمجتهدين أنّه لا بد من النجف للخروج إلى الحياة العامة. وبهذه الرغبة والدوافع جاء الصدر إلى النجف كما يؤكد على ذلك الشيخ شمس الدين. ورغم أنّ المرء لا يستطيع أن يحسم بشكل قاطع ما إذا كان الصدر جاء لهذا السبب أو غيره، فإنّ الشيخ شمس الدين يزعم من خلال ما لديه من معلومات أنّ مجيء الصدر إلى النجف كان بهذا الغرض أي «تسطير التاريخ».

رابعاً، سعي الصدر للتواصل مع الرؤية التي كانت موجودة في النجف. الرؤية التي بلورت أفكاراً وبرامج عمل وتشخيصات حول توليد حركات إسلامية شيعية تتكامل مع بقية الحركات الإسلامية المعاصرة في العالمين العربي والإسلامي (مصر، الهند، باكستان، وغيرها). وقد تجسّدت هذه الرؤية (مرجعياً) بالسيد محسن الحكيم الذي وبحسب وصف الشيخ شمس الدين «كان يحمل رؤية مستنيرة وكان عنصر الحداثة عنده عنصراً مهماً، وجانب من مرجعيته كان يقوم على أساس هذه الرؤية». ويعزز هذا الرأي ما قاله أيضاً السيد محمد باقر الحكيم من أنّ مرجعية السيد الحكيم هي «مرجعية مستقبل»، تتعامل مع المعطيات الجديدة والقضايا السياسية الملّحة، ولا سيما منها القضية الفلسطينية. فتصدّي السيد الحكيم للشؤون السياسية والاجتماعية كان من جملة حوافز اتصال الصدر المباشر بهذا النوع من التطلّع الذي كان أيضاً هاجساً موجوداً وهمّاً كبيراً عند الوسط المقرب من السيد الحكيم آنذاك، الذي ضمّ نخبة من المتميزين في الحوزة «(...) كانت تمثل الجانب التحديثي من المرجعية (...) لأن الجانب التحديثي للمرجعية (على ما ينقله الشيخ شمس الدين) يرى الأمور وفقاً لضرورات المرحلة المعاصرة». أمّا تجسّد هذه الرؤية (حركياً)، فكان على يد السيد محمد باقر الصدر ابن عم الإمام وأحد أبرز الشخصيات العلمية والفكرية والسياسية في تاريخ العراق المعاصر، والذي وُصف من قبل الصحافي الشهير أدورد مورتمر في مقال نشرته صحيفة «فايننشال تايمز» اللندنية بالرجل «الذي كان من الممكن أن يكون مانديلا العراق». فمن الواضح أنّ السيد محمد باقر الصدر كان أهم شخصية تعاطت الفكر السياسي والتنظيم الحركي. وقد أكسبه نشر كتابيه «فلسفتنا» و«اقتصادنا» شهرة واسعة في العالمين العربي والإسلامي، وحوّله ذلك «إلى المنظّر الأول للنهضة الإسلامية»، كما ارتبط اسمه بحزب الدعوة الإسلامية تنظيماً وتنظيراً ونشاطاً سياسياً. على أنّه يمكن اعتبار الفترة التي عايشها السيد محمد باقر الصدر من أكثر الفترات خصوبة في تاريخ العراق السياسي، إذ شهدت هذه الفترة إلى جانب تصاعد وتنامي الحالة القومية وسطوة الشيوعيين واكتساح تيارهم للساحة العراقية مع وصول عبد الكريم قاسم إلى سدة الحكم وسقوط الحكم الملكي في العراق.

هذا الواقع استنفر الحوزة العلمية التي كانت تعيش أزمة انحسار في دورها، وضعفاً في حضورها، وزهداً في التعامل مع الشؤون السياسية. وبدأت تدرك من خلال مجموعة من العلماء الحركيين وبعض الكوادر الواعية أهمية الشروع بتنظيم إطار نهضوي إسلامي - حركي ينطلق من الخصوصية العراقية بحثاً عن الهوية الضائعة للحركة الإسلامية في العراق. فكان تأسيس حزب الدعوة الإسلامية «الذي كسر الجمود الحوزوي وخلق مناخاً مسيساً في الوسط الحوزوي». ومن الواضح أنّ تأسيس الحزب قد رفع من مستوى الوعي لدى المؤسسة الدينية الشيعية، وغيّر في منهجية التفكير وفي آلياته ومدى تفاعل علماء الدين مع الأحداث السياسية واتجاهات التحول في واقع الأمة. ومن جانب آخر كانت هذه الحركة الوليدة تطمح إلى تحقيق ذاتها عبر مواءمة بين تراثها العقدي وجذورها الحضارية التاريخية وبين محاكاة التجارب الإسلامية المعاصرة في العالمين العربي والإسلامي. ومن هنا، يمكن فهم أحد الاعتبارات التي دفعت بالإمام الصدر للمجيء إلى العراق وهو الإحساس بالحاجة الملحة للتواصل مع مشروع إسلامي طموح يؤكد الذات الشيعية وينهض بها. ولا شكّ أن الإمام وجد في أطروحة ابن عمه التعبير الأكثر نضجاً في تحقيق الوعي الديني والسياسي والثقافي والتاريخي. وهذه الأطروحة تتقاطع إلى حد بعيد مع مسوّدات مشاريع كانت تُحضّر من قبل مجموعة من علماء الدين في إيران كان الإمام أحدهم، ولكنها لم تبلغ وقتذاك حد الاختمار الكلي والاكتمال النهائي.

وهناك تعليق مهم للسيد محمد حسين فضل الله على تلك المرحلة يرى أنّ الصدر عندما انطلق إلى النجف «(...) كان السيد محمد باقر الصدر يعيش في هذا الجو وأسس للحركة الإسلامية، والسيد موسى كان يعيش عمق الحركة الإسلامية تفاعلاً وتجاوباً وإيماناً». والأمر كما يتضح أعمق بكثير من مجرد رمزية النجف والأثر الطاغي لها في أوساط الطلبة. إذ لم يكن الصدر مهجوساً، كما ذكر بنفسه، بالارتقاء إلى مقام المرجعية ولا طامحاً بتقصّي معالمها ليحافظ على استمراريتها في آل الصدر. ورغم ما له من رصيد متراكم معرفياً واجتماعياً وسياسياً، فلم تكن للصدر من رغبة في توظيف أي من العناصر، أو استجماع أي من الظروف المؤدية إلى بلوغ هذا المقام الديني الرفيع، بل يبدو حرصه شديداً في القيام بدور إصلاحي كبير. ولقد أدرك الكثيرون من حوله أنّ اهتماماته التي شغلت تفكيره كانت دائماً لها صلة بأوضاع الأمة سياسياً وحضارياً، وهذه الاهتمامات لا تتساوى مع أي مسؤولية أخرى حتى ولو كانت بأهمية المرجعية الدينية، من هنا، لاحظ السيد فضل الله أنّ الصدر «(...) كان يتحرك كعالم منفتح يريد أن يتجاوز بعض المألوف من الأشياء (...) وكان يفكر باعتبار أنّ المرجعية كانت تمثل في إطارها في ذلك الوقت إطاراً لا يتسع إلى طموحاته».

ويقودنا التساؤل السابق حول شكل وطبيعة الاشتغال السياسي للصدر في العراق إلى تبيان الآتي:

أولاً: لقد كان تأسيس حزب إسلامي هماً مسيطراً على العديد من الرموز والشخصيات والقيادات الإسلامية، وخصوصاً في النصف الثاني من القرن الماضي، وقد وجد الصدر في الساحة العراقية المكان الأرحب كي يغرف من معين المساهمات الفكرية الحركية التي بدأت آنذاك تؤصل لمشروع إسلامي يعتمد في مبادئه على الإسلام لإعطائه المضمون الاجتماعي والسياسي والفكري. وقد أراد الصدر الاقتراب أكثر من ابن عمه السيد محمد باقر الصدر الذي كان أعدّ خططه لإطلاق حزب الدعوة الإسلامية كي «(...) يكون أداة العمل السياسية - الاجتماعية في حركة الإسلام في الواقع السياسي الداخلي والخارجي». والملاحظ أنّ الفترة التي درس فيها الإمام الصدر في النجف (1954- 1958) جاءت متزامنة مع إنجاز السيد محمد باقر الصدر معظم مشروعه السياسي - الفكري ودخل في مرحلة بناء الأدوات الحزبية. ما يعني أنّ الإمام الصدر قد وقع معرفياً على مناشئ التجربة الإسلامية في العراق، واحتكّ مع عناصر المشروع واستراتيجية العمل التي اعتمدتها هذه التجربة في بواكيرها الحركية وتفتّحها السياسي.

ثانياً: لقد خبر الإمام الصدر ظروف انكفاء الحوزة والمرجعيات الدينية عن العمل السياسي المباشر، والجدل الذي كان سائداً وقتذاك حول مشروعية الانخراط في الأحزاب السياسية باعتبارها صيغة غربية تفتقد المستند الشرعي لها. وكان الصدر بحاجة ماسّة إلى مَن يؤصّل هذه الفكرة على المستوى الإسلامي ويدافع عنها، وخصوصاً أنّه من دعاة تشكيل أطر حزبية منظمة ترفع الأمة من المآزق التي ترزح تحتها، فكان شاهداً على السجالات الفكرية والنقاشات النظرية بين مجموعتين إحداها تتمترس وراء فكرة التقية وعدم نضوج الظروف التي تسمح بعلانية العمل، وبين مجموعة أخرى يتزعمها السيد محمد باقر الصدر تنادي بضرورة تنشيط العمل الإسلامي السياسي من خلال الأطر الحزبية. وكان السيد محمد باقر الصدر قد ردّ على مناوئيه حول خطأ الفكرة القائلة برفض أي أسلوب غربي أو غير إسلامي بدعوى أنّه أسلوب خاطئ ومنافٍ للإسلام، بالقول: «(...) فالأسلوب الذي يعتمده مبدأ من المبادئ ليس من الضروري أن يكون مرتبطاً بشكل مباشر أو غير مباشر بذلك المبدأ وإنما يمكن توظيفه بالشكل الذي لا يتعارض مع أسس المبدأ أو العقيدة. فإذا كان التنظيم الحزبي هو الأسلوب الشائع في الأنشطة السياسية في الغرب فإن ذلك لا يعني عدم إمكانية اعتماد هذا الأسلوب من قبل المسلمين». على أي حال، فإن هذه الأجواء التي عايشها الإمام الصدر في العراق ساعدت على اختمار الأطروحة الحزبية لديه، وعمّقت عنده الحافزيّة لتجاوز العمل الدعوي التقليدي.

ثالثاً: إن عزوف بعض المرجعيات الدينية عن الدخول في الميادين السياسية، واقتصار دورها على الجانب الفقهي والعقيدي ترك فراغاً أيديولوجياً هائلاً وسمح في المقابل بنمو التيارات القومية والشيوعية والعلمانية التي سيطرت على الواقع العراقي فكرياً وثقافياً، ما دفع بالسيد محمد باقر الصدر إلى تكريس جهود جبارة لشرح المعالم والأسس العقيدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للإسلام، والتأكيد على كون الإسلام دين ودولة. وكان لطبيعة هذه المساهمات الفكرية أن جعلت الإمام موسى الصدر، الذي واجه أوضاعاً مماثلة في إيران، ينخرط مرة أخرى في معايشة تيارات تشكّك بقدرة الإسلام السياسية على قيادة الحياة، وترى وجوب ابتعاد رجال الدين عن ممارسة أي نشاطات سياسية. ومن خلال هذا الصراع تمكن الإمام الصدر من أن يثري تجربته الفكرية والسياسية، وأن يوسّع من رؤيته المعرفية للرد ميدانياً ومنهجياً على أصحاب هذه التيارات وأتباعهم بعد وصوله إلى لبنان.

رابعاً: لم يكُن مأمولاً أن يعيش الصدر إلا عدداً قليلاً من السنوات في العراق بسبب طبيعة الحياة السياسية العراقية، وهي طبيعة ديكتاتورية - أحادية، فيما هو يتطلع إلى تجربة مفتوحة الأجواء سياسياً. ولكن ما توفر عليه على الرغم من الممارسة السياسية الحذرة لكثير من الشخصيات الدينية، كان كفيلاً لمدّه بأسباب المعرفة والتجربة التي ستمكّنه لاحقاً من تقديم مقاربات استثنائية وجديدة على المستوى القيادي والديني والفكري.

من قم إلى النجف الأشرف كان على موسى الصدر أن ينجز ذاته بالإبحار في تجارب الآخرين. كان محمد باقر الصدر هو التجربة الفريدة الأمينة والعمق المعرفي الهائل الذي سيجعل من موسى الصدر شريك إبداع واكتمال. في حضرة محمد باقر الصدر أدرك موسى الصدر الصباح.

> شكّل محمد باقر الصدر التجربة الفريدة الأمينة والعمق المعرفي الهائل الذي سيجعل من موسى الصدر شريك إبداع واكتمال

* أستاذ جامعي

على الغلاف

الاحتقان الشعبي يتعمّق سوريا في دوّامة التضخّم

زياد غصن

على الرغم من تحذيرات الخبراء الاقتصاديين من إمكانية دخول البلاد في دوّامة جديدة من التضخّم القاتل، ولا سيما أن سعر الصرف يشهد منذ قرابة الشهرين موجة جديدة من الانخفاض، رفضت الحكومة السورية التخلّي عن مشروعها الرامي إلى رفع أسعار المشتقّات النفطية، بنسبة تكاد تقترب من التحرير الكامل، مقابل إجراء زيادة على رواتب العاملين في مؤسّسات الدولة والمتقاعدين بنسبة 100%، مبرّرة ذلك بارتفاع فاتورة الدعم الاجتماعي إلى مستوى بات يهدّد «مالية الدولة». ومع أن سياسة رفع أسعار السلع المدعومة بغية

> **أثبتت التجربة أن رفع أسعار المشتقات النفطية لم يؤدّ إلا إلى مزيد من التضخم**

تخفيض عجز الموازنة ليست جديدة، لا بل باتت سمة عمل الحكومة الحالية منذ تسلّمها مهامها في عام 2021، إلّا أن نسبة الزيادة الكبيرة على أسعار المشتقّات النفطية، تزامناً مع تعرّض القوة الشرائية للمواطن للتآكل بوتيرة لم يشهده سعر صرف الليرة من تراجع كبير أمام الدولار، رفعت منسوب الخطوة الإجراءات الحكومية الأخيرة، سواءً لجهة تأثيرها العميق على الوضع المعيشي للأسر السورية المنهكة اقتصادياً واجتماعياً وصحياً، أو لجهة تعميق الاحتقان الشعبي الذي بدا واضحاً في خلال اليومين الأخيرين، وعبّر عن نفسه بأشكال مختلفة.

ووفقاً للقرارات التي أصدرتها وزارة التجارة الداخلية مساء الثلاثاء الماضي، فقد تمّ توحيد سعر مادة البنزين أوكتان 90 ليصبح 8 آلاف ليرة للّيتر الواحد، بعد أن كان يُباع بسعرين: واحد مدعوم وآخر حرّ، وبذلك تكون نسبة الزيادة حوالى 166% بالنسبة للسعر الذي كان مدعوماً و63% للسعر الحرّ. أمّا البنزين أوكتان 95، فقد ارتفع سعره بنسبة تُقدّر بحوالى 35%. وفي المقابل، أبقت الحكومة على 4 أسعار لمادة المازوت، لكن مع زيادة كبيرة على سعر المادة المخصّصة للتدفئة والنقل وصلت نسبتها إلى حوالى 185%، وعلى المادة المخصصة لمعامل الأدوية والاستخدامات الزراعية خارج الكميات المدعومة وصلت نسبتها إلى حوالى 166%، فيما سجّلت نسبة الزيادة على المازوت المخصّص للصناعيين حوالى 113%.

تضخّم مرتقب

تثير مسألة تحرير أسعار المشتقّات النفطية إشكاليتَين أساسيتَين: الأولى جدواها الاقتصادية على المدَيَين القريب والمتوسّط، والثانية تتمثّل في انعكاساتها المحتملة على الوضع الاجتماعي في البلاد. في الأولى، تحاول الحكومة إقناع نفسها قبل مواطنيها بأن معالجة ما تسمّيه «التشوّهات» الحاصلة في ملفّ الدعم الحكومي، من شأنها أن تنعكس إيجابياً على الوضع الاقتصادي، وذلك من خلال إعادة توجيه الكتلة الأكبر من اعتمادات الموازنة العامّة للدولة، لتكون في خدمة الشقّ الاستثماري، إلّا أن التجربة أثبتت - على الأقلّ في خلال الأعوام الثلاثة الماضية - أن رفع أسعار المشتقّات النفطية لم يؤدّ إلا إلى مزيد من التضخّم الجامح، وتراجع معدّلات الإنتاج في القطاعَين الصناعي والزراعي نتيجة ارتفاع التكاليف وتبخّر القوّة الشرائية للمستهلك، فضلاً عن إحكام السوق السوداء قبضتها على الحياة الاقتصادية في البلاد. ولذا، فإنه من غير المتوقّع أن تتغيّر تلك النتائج مع الخطوة الأخيرة.

وفي هذا الإطار، يعتقد أستاذ السياسات المالية والنقدية في جامعة دمشق، إلياس نجمة، أن القرارات الجديدة «ستؤدّي إلى حدوث موجة تضخّم كبيرة لسببين: الأوّل أن طبيعة عمل التضخّم هي أشبه بطريقة عمل الأواني المستطرقة، فما إن يرتفع سعر سلعة أو خدمة، حتى ترتفع أسعار كل السلع والخدمات الأخرى». والسبب الثاني، بحسب المتحدث، هو أن «ارتفاع الأسعار الحالي يتعلّق بحوامل الطاقة، والتي تمثّل العصب الأساسي لاقتصاد أي دولة». ولا يستبعد نجمة، في حديثه إلى «الأخبار»، أن تصل نسبة التضخم إلى 100%، الأمر الذي سيؤدّي إلى حدوث انعكاسات اقتصادية واجتماعية خطيرة. وهذا ما تؤيّده توقّعات معظم الاقتصاديين». ومما يعزّز من تلك التوقّعات السلبية، عجز الحكومة عن توفير الحدّ الأدنى من احتياجات السوق المحلّية من المشتقّات النفطية، سواءً جرّاء عدم تمكّنها من استيراد كميات كافية من النفط الخام، إذ لا تتجاوز وسطياً الكميات المستوردة شهرياً مليوني برميل فيما التقديرات تتحدّث عن الحاجة إلى 3 ملايين برميل كأقلّ تقدير، أو نتيجة فشلها في محاصرة السوق السوداء التي كانت تنتعش مع كلّ زيادة على أسعار المشتقّات النفطية وتعدّل أسعارها أيضاً، لتكون النتيجة ارتفاعاً غير مضبوط في تكاليف الإنتاج وتقديم الخدمات في وقت تضيق فيه أسواق الاستهلاك.

الأكثر تضرّرا

في النقطة الثانية المتعلّقة بالأثر الاجتماعي للقرارات الأخيرة، تتبدّى فقدت أهميتها المعنوية والشرائية حتى قبل صدورها رسمياً، وذلك جراء تفاقم مشكلة الغلاء، والارتفاع المستمرّ في سعر صرف الدولار منذ عيد الفطر السابق، فضلاً عن أن نسبة الزيادة التي طرأت على أسعار المشتقّات النفطية، كانت كفيلة بامتصاص الزيادة الحاصلة على الرواتب وأكثر. وعليه، فإن العاملين بأجر عموماً، والعاطلين عن العمل، والبالغة نسبتهم رسمياً حوالى 21,9%، سيكونون هم الفئة الأكثر تضرّراً من سياسة زيادة أسعار السلع والخدمات. وفي هذا الإطار، يشير نجمة إلى أنه «إذا كانت زيادة الرواتب والأجور محاولة لإزالة بعض الغبن أو الضرر الواقع سابقاً على شريحة العاملين بأجر، فإن زيادة الأسعار ليست سوى زيادة جديدة تضاف إلى أرباح أصحاب الأموال والثروات». ويكشف أن «حصّة العاملين بأجر من الدخل القومي، لا تتجاوز في الوقت الراهن 10-15%، فيما كانت هذه النسبة تصل إلى أكثر من 43% في عام 1968، مع العلم أن العاملين بأجر لم تكن نسبتهم تتجاوز آنذاك 30% من إجمالي عدد العاملين، فيما نسبتهم اليوم تتجاوز 63% وفقاً لبيانات المكتب المركزي للإحصاء».

ولا ينحصر الأثر الاجتماعي للقرارات الأخيرة بنسب التضخّم التي سوف تتسبّب بها فقط، وإنّما يتعدّاها إلى مفعول توقيتها المتزامن مع مجموعة من المتغيّرات الداخلية والخارجية المؤثّرة بشكل مباشر على دخل الأسر السورية، كمحدودية فرص العمل المتاحة محلياً ومستويات أجورها المتدنية في كلا القطاعَين العام والخاص، وتقليص المنظّمات الأممية لحجم مساعداتها الإغاثية الموجّهة إلى السوريين على خلفية تحوّل اهتمامات المموّلين في اتّجاه مساعدة النازحين الأوكرانيين ودعم حكومة كييف، إضافة إلى التوقّعات الخاصة بانخفاض تحويلات اللاجئين والمهاجرين إلى أسرهم وأقاربهم في الداخل السوري. وتالياً، فإن النتيجة الوحيدة لكلّ ما سبق ستكون مزيداً من الفقر المدقع والحرمان الشديد وزيادة حدّة الاحتقان الاجتماعي.

(أ ف ب)

مجموعة من الانعكاسات السلبية المباشرة، أوّلها تعميق حالة الفقر، وزيادة الضغوط المعيشية على شريحة واسعة من السوريين بمن فيهم العاملون في مؤسّسات الدولة، والذين ازدادت رواتبهم وأجورهم بنسبة كاملة (100%)، سرعان ما

> **لا تحسُّن سيطرا على معيشة المواطن نتيجة زيادة الرواتب والأجور**

إلى أغلب أبنائها نوعاً من أنواع العبودية، لكنها عبودية لا تشبع عبدها الطعام حتى يقوى على العمل في اليوم التالي».

أولويات الحكومة

بدوره، يؤكد الباحث الاقتصادي محمد كوسا، أنه «لا تحسُّن سيطراً على معيشة المواطن نتيجة هذه الزيادة، إذ إن السوق امتصّها حتى قبل الحصول عليها، فأسعار السلع والخدمات ارتفعت متأثّرة بقرارات رفع أسعار مشتقّات الطاقة وتقليص الدعم»، مُضيفاً أن «التأثير الحاصل من تلك الزيادة لن يتعدّى العودة بالقدرة الشرائية إلى ما كانت عليه قبل شهرين فقط». ويرى كوسا، في حديث إلى «الأخبار»، أن «إعادة هيكلة الدعم مسألة ضرورية لأيّ حكومة، لكن من غير الصحيح القول إن نسبة زيادة الرواتب هي من كتلة الدعم، وإنما تخفيض كتلة الدعم هو تصحيح لوضع الموازنة العامة وتوجيه للإنفاق العام في اتّجاهات لها أولوية لتخفيض أو تصفير العجز في بعض بنود الموازنة»، متابعاً أن «الحكومة مضطرّة للإنفاق على الصحة والتعليم والخدمات العامة من كتلة الدعم بدلاً من تخصيصها لزيادة الرواتب».

ويعتقد كوسا أن الخلل «يكمن في صناعة القرارات الاقتصادية الإدارية التي تتطلّب العقول الخبيرة لتقوم بالدراسات الكاملة الدقيقة، بعد فهم الأهداف والسياسات الموضوعة، وإن وجدت تلك الخبرات تصاب القرارات بالانحراف عند تطبيقها، ممّا يفسح المجال للفساد للتغلغل بسبب ضعف مقدرة المنفّذين». وعن الحلول الممكنة، يعتبر أنه «لا بدّ من تحسين الدخول كـ«ضرورة حكومية اقتصادية واجتماعية»، مضيفاً أنه «على المدى القصير، يتوجّب العمل على إصدار زيادات متواترة متلاحقة ومتقاربة على الرواتب والأجور، ويمكن تعديل شرائح الضريبة على الراتب أو تعليقها لمدة عام مع إيقاف حسميات التأمينات الاجتماعية وصناديق التكافل وغيرها للوصول إلى الحدّ الأدنى من الدخل الذي يتمكّن معه الموظف من تأمين أساسيات متطلبات المعيشة، مع الاستمرار في تقديم المنح المالية». أمّا على المدى البعيد، فيتحدّث عن «حلول مركبة جوهرها الخروج من التضخم البنيوي للاقتصاد السوري بالاعتماد على مسألة التشغيل السياسي».

زيادة لا تغني ولا تسمن

رواتب السوريين تكفي لأسبوع واحد

لمى علي

لم يفلح قرار زيادة الأجور بنسبة 100%، والذي انتظره السوريون طويلاً، في إرواء عطش هؤلاء، لا بل إنه استثار غضبهم لما رافقه من زيادة في أسعار المحروقات - التي كانت ارتفعت مرّات عدّة أصلاً منذ بداية العام -، ستؤدي بدورها إلى زيادة في نسب التضخّم والفقر، ومزيد من التدهور في مستوى المعيشة، على اعتبار أن الارتفاع سيطال أسعار السلع كافة، بإضعاف ما كانت عليه قبل صدور المرسومين التشريعيَين 11 و12. ولعلّ أولى بوادر التداعيات المنتظرة، تجلّت في الصباح التالي للقرارات الأخيرة، والذي شهد أزمة مواصلات كبيرة في أغلب المناطق بسبب امتناع الكثير من سائقي التاكسي والباصات عن العمل بتعرفة النقل القديمة، والتي لم تصدر تعديلاتها حتى آخر النهار، بعدما عانى وتضرّر الكثير من المواطنين، وعلى رأسهم طلاب الجامعات الذين لم يصلوا إلى امتحاناتهم في الوقت المحدّد، وموظفون دفعوا أجوراً مضاعفة ليصلوا إلى أماكن عملهم.

بالورقة والقلم

وفق الأرقام الصادرة عن «المكتب المركزي للإحصاء»، فإن معدّل التضخم بين عامَي 2011 و2021، بلغ 3852,29%، أي أن الأسعار تضاعفت خلال تلك الفترة بحوالى 40 مرّة. أمّا معدّله لعامَي 2022 و2023، بحسب البيان المالي لـوزارة المالية، فبلغ 100,7 و104,7%، أي أن الأسعار ازدادت بحوالى 160 مرة. وبالتالي، فإن الحدّ الأدنى للرواتب والأجور، والذي يمكن أن يتناسب مع الزيادات المذكورة، يجب أن يصل إلى 1,5 مليون ليرة شهرياً على أقلّ تقدير، علماً أنه وفقاً لدراسة محلّية حديثة، أعدّتها صحيفة «قاسيون»، فإن حاجة الأسرة المكوّنة من 5 أفراد تصل إلى 6,5 ملايين ليرة شهرياً للعيش بصورة مقبولة.

تقول المواطنة سلاف الحسين، في حديث إلى «الأخبار»: «عشنا وقتاً طويلاً من التخدير في انتظار زيادة رواتب تناسب الوضع المعيشي البائس الذي نتحمّله، وكانت الطروحات المتداولة أن نسبة الزيادة ستصل إلى 400% وهذا هو المنطق لنتمكّن من العيش، إلا أننا خُدعنا وخُذلنا». أمّا المواطن ورد الخيّر فيقول: «كنّا نتوقّع ألّا يحصل الموظف على راتب مليون ليرة كما يجب أن يكون، لكن على الأقلّ أن يصل الراتب إلى 500 ألف حتى يتمكّن ربّ الأسرة الذي يعمل عملَين أو ثلاثة من أن يعيش وعائلته بكرامة».

من جهته، يعتقد عضو «مجلس الشعب» المستقل، ناصر الناصر، أن الحكومة «عاجزة عن فعل أيّ شيء لتحسين الوضع المعيشي، وخاصّة مع التخبّط والعشوائية في القرارات»، لافتاً إلى أن «الحجّة دائماً هي عدم استقرار سعر الصرف، ولا نعرف لماذا على الشعب أن يدفع ثمن ذلك، وتبقى الحكومة هي الرابحة». ويؤكد أنه «لم يعد هناك فائدة من الكلام والمطالبات والمداخلات تحت قبّة البرلمان، لأنها لم تثمر أبداً»، قائلاً: «لم نُعَد قادرين حتى على مواجهة ممثّلينا من الشعب الذي خذله نوابه وحكومته».

حدود الكرامة

لا يبرح الموظفون السوريون يقارنون رواتبهم الهزيلة برواتب موظفي الدول العربية الفقيرة منها والغنية، و«يُقرْشون» أجورهم بالدولار ليجدوا أنهم يقبلون العمل في دولتهم بأبخس الأثمان على الإطلاق. وفي هذا الإطار، يقول المواطن جاد عز الدين، الموظف منذ 16 سنة، لـ«الأخبار»: «لا يتجاوز راتبي الشهري الـ20 دولاراً»، وهو ما يعدّ «بقشيشاً في بعض الدول الأخرى». متسائلاً: «هل فكّرت الحكومة قبل إقرار هذه الزيادة المنتظرة، كيف سيتحسّن الوضع المعيشي للمواطن؟ هل تريدنا أن نلجأ إلى السرقة وأكل المال الحرام؟».

أمّا سراء إبراهيم، فتقول باستهزاء: «كان الراتب يكفي أسرة صغيرة لمدّة 3 أيام، والآن أصبح يكفيها لـ6 أيام»، فيما تشير المدرّسة المتقاعدة، هيام عبد الله، إلى أن راتبها التقاعدي الذي تضاعف «بالكاد يؤمّن لها ثمن أدويتها التي طالها ارتفاع أسعار الدواء الأخير بنسبة 50%، إضافة إلى كيلو من اللبن»، مضيفةً أنها «تعتمد بشكل أساسي على الحوالات التي تصلها من أبنائها في المغترب». وتقول: «ياريت ما زادوا هالرواتب»، لما سيرافق ذلك من ارتفاع في أسعار كل السلع كما جرت العادة.

وإذا كان موظفو القطاع الحكومي، الذين مُنحوا زيادة على رواتبهم، هم الفئة الأكثر فقراً في المجتمع السوري، والذين تبلغ نسبتهم 14,5% من حجم قوة العمل، وفق أرقام «المركزي للإحصاء» لعام 2021، فالواقع أن ميزات العمل جميعها في هذا القطاع تلاشت أمام الأجور المتدنّية التي لا تحقّق للموظف أدنى مقومات الحياة. ويثبّم الموظف عادل السبع الحكومة بأنها «أهدرت كرامة الموظف بهذه القرارات، ومن الأفضل البحث عن عمل في القطاع الخاص، الذي على الأقلّ يعطي في أسوأ حالاته ضعف راتب العمل الحكومي»، مضيفاً أن «العمل في سوريا بات بالنسبة

حاجة الأسرة المكوّنة من 5 أفراد تصل إلى 6,5 ملايين ليرة شهرياً (أ ف ب)

تركيا

انطلاق معركة البلديات
السلطة vs المعارضة: إسطنبول مدينتنا

محمد نور الدين

على الرغم من أنه لا يزال يفصل تركيا عن الانتخابات البلدية حوالى الستة أشهر (31 آذار 2024)، غير أن الاستحقاق بدأ عملياً منذ لحظة إعلان انتصار الرئيس رجب طيب إردوغان، في انتخابات الـ28 من أيار الماضي، وسيطرة «تحالف الجمهور» المؤلّف من حزبَي «العدالة والتنمية» و«الحركة القومية» وبعض الأحزاب الإسلامية الصغيرة، على البرلمان. ولكن، يبدو أن «جرح» خسارة الحزب الحاكم، البلديات الكبرى في أنقرة وإسطنبول ومدن أخرى - والتي سيطر عليها منذ عام 1994 -، لا يزال يؤلم إردوغان، وهو الذي ظلّ يردّد مقولته الشهيرة: «مَن يسيطر على إسطنبول، يَحكم كلّ تركيا». من هنا تحديداً، يأتي سعي الرئيس التركي إلى «استعادة» المدينتَين من يد المعارضة و«حزب الشعب الجمهوري» وخصوصاً، حتى إذا ما تمّ له ذلك، أطبق بالكامل على السلطات الثلاث المنتخَبة: الرئاسية، النيابية، والبلدية. ولأجل هذا، تتّخذ الانتخابات البلدية المقبلة طابع المواجهة، ولا سيما في أنقرة وإسطنبول، على اعتبار أن البلدية الكبرى الثالثة (إزمير) مضمونة الولاء لـ«الشعب الجمهوري». وإذا كان من المبكر الحديث عن أسماء محتملة لمرشّحَي السلطة في المدينتَين المفتاحيتَين، فمن غير المتوقّع أن يُصار مجدّداً إلى طرْح اسم بن علي يلدريم، رئيس «حزب العدالة والتنمية» ورئيس الحكومة السابق، ليواجه مرشّح المعارضة، بعدما خسر أمامه في انتخابات عام 2019. واستناداً إلى ما سبق، يحوز البحث عن اسم «قادر» على هزيمة المرشّح المقابل، اهتماماً عالياً من جانب السلطة.

على أن الأخيرة تدخل الانتخابات البلدية المقبلة وهي مرتاحة إلى وضعها، وخصوصاً بعد الدفع المعنوي الهائل الذي وفّره لها فوزها في الانتخابات النيابية والرئاسية. لكن الوضع على الضفة المعارضة، لا يبدو مثيراً للتفاؤل، وذلك بفعل تبدُّد الآمال التي عُلّقت على احتمال فوز مرشّحها، زعيم «حزب الشعب الجمهوري» كمال كيليتشدار أوغلو، في الانتخابات الرئاسية، حتى بدا كما لو أن الأسباب التي جَمعت أحزابها في «تحالف الأمّة» قد تلاشت، وأنها سائرة في طريقها نحو التفكّك الحتمي. ومن بين أولى المؤشّرات إلى ذلك، الموقف الذي أعلنه «حزب الشعوب الديموقراطي» الكردي، ومفاده أنه سيتقدّم بمرشّحين خاصّين به إلى الانتخابات البلدية في كلّ المدن، بما فيها إسطنبول وأنقرة، وهو ما يعني أن أيّ مرشّح مشترك للمعارضة لن ينال، مبدئيّاً، الأصوات الكردية الوازنة في هذه المدن، والتي كانت سابقاً من أسباب فوز مرشّحَي المعارضة أكرم إمام أوغلو في إسطنبول، ومنصور ياواش في أنقرة. ومع إعلان بعض الأحزاب الأخرى التي كانت منضوية في إطار الائتلاف المعارض مواقف مماثلة تعكس «انتهاء» «تحالف الأمّة»، تتّجه الأنظار إلى ما سيقرّره «الشعب الجمهوري»، كونه أولاً أكبر أحزاب المعارضة، ولأن رئيسَي بلديتَي إسطنبول وأنقرة، إمام أوغلو وياواش، ينتميان إليه، ويُعتبران من المدافع الثقيلة فيه، إذا ما تقرّر طرح اسمهما لخوض معركة الرئاسة بدلاً من كيليتشدار أوغلو، وهو ما يحرّض عليه بوضوح «الحزب الجيّد» بزعامة مرال آقشينير. وممّا يجدر التذكير به، هنا، أنه مع انتهاء الانتخابات الرئاسية إلى هزيمة زعيم «الشعب الجمهوري»، اتّجهت الأنظار إلى ما يمكن أن يحصل داخل الحزب، ولا سيما بعد «الصرخة» التي أطلقها إمام أوغلو بضرورة «التغيير»، والتي تلقّفها الأوّل بتشكيل «نواة صلبة» حوله للاستمرار في موقعه رئيساً للحزب، وقطْع الطريق على إمام أوغلو ليحلّ محلّه.

ومع ذلك، أعلن الأخير، يوم الثلاثاء الماضي، أن إسطنبول تمثّل أولوية بالنسبة إليه، وأنه «قادم» إليها من جديد، في افتتاح رسمي لمعركة رئاسة البلدية في هذه المدينة. ويعني قرار إمام أوغلو خوض معركة البلديّات، انسحابه من انتخابات الرئاسة على زعامة الحزب، واحتمال بقاء كيليتشدار أوغلو رئيساً، كما يعني أن رئيس بلدية إسطنبول سيخوض معركة التغيير الحزبية عبر مرشّح آخر قد لا يكون بقوّة الزعيم الحالي، وأن التركيز المقبل سيكون على انتخابات بلدية إسطنبول ومحاولة إبقائها بيد الحزب والمعارضة، لأنها الورقة الوحيدة المتبقّية لتكون رابحة من حيث المبدأ. وتنبغي هنا الإشارة إلى ثلاث عقبات أساسية تقف في طريق إمام أوغلو للفوز برئاسة البلدية: الأولى هي الدعوى المقامة ضدّه، منذ الخريف الماضي، بتهمة تحقير «اللجنة العليا للانتخابات» عام 2019، والتي كان يُتوقّع أن تنفجر في وجهه في حال ترشّح إلى الانتخابات الرئاسية التركية. ولكن كونه لم يترشّح للرئاسة، فإن احتمال انفجار تلك القضيّة في وجهه الآن قائم بقوّة؛ والثانية، هي انقسام المعارضة، وعدم وجود دورة ثانية في هذه الانتخابات التي يفوز فيها مَن يحصل على أعلى نسبة من الأصوات، ولو لم يتجاوز الـ50%؛ والثالثة، هي مدى رضا كيليتشدار أوغلو، في حال التجديد له في رئاسة الحزب، على إمام أوغلو، وخصوصاً إذا ما قرّر الأخير المضيّ في معركة التغيير الحزبية.

وبالعودة إلى مواقف إمام أوغلو، فقد أعلن، يوم الثلاثاء الماضي، أنه سيكون مرشّحاً لرئاسة بلدية إسطنبول، وأن أولويته تكمن في «منْع سرقة المدينة وتدمير بيئتها»، وأنه بذلك «يؤدّي خدمة لكلّ تركيا». وإذ دعا إلى عدم اعتبار ترشيحه موقفاً سياسيّاً ممّا يجري داخل الحزب، فقد اعتبر أن «النجاح في حلّ مشكلات إسطنبول سيكون امتحاناً للنجاح في كيفيّة حلّ مشكلات تركيا». كما لو أنه أراد القول إن الخطوة التالية لرئاسة بلدية إسطنبول، هي رئاسة الجمهورية، معلناً أن دعوته إلى التغيير داخل «حزب الشعب الجمهوري» لا تزال قائمة، وأن «هناك الكثير ممّن يعرفون تاريخ الحزب ومن ذوي الأكفّ النظيفة، ومن هؤلاء أوزغور أوزيل». واعتُبر تحديد هذا الاسم دعماً من إمام أوغلو لأوزيل ليكون منافساً لكيليتشدار أوغلو على زعامة الحزب، على أن يكون الأوّل مرشّحاً لرئاسيات 2028. ويقول الكاتب عبد القادر سيلفي، المقرّب من إردوغان، في هذا الإطار، إن موقف إمام أوغلو كان مفاجئاً، معتبراً أن الرجل غيّر في الأولويات فقط: رئاسة البلدية أولاً ومن ثم رئاسة الجمهورية، لأنه يدرك جيداً أنه إذا خسر إسطنبول فلن يربح الانتخابات الرئاسية المقبلة، على اعتبار أنه «من دون دعم الاكراد والحزب الجيّد لن يكون في إمكانه الفوز في مواجهة مرشّح حزب العدالة والتنمية».

أعلنه أكرم إمام أوغلو أنه سيكون مرشّحاً لرئاسة بلدية إسطنبول (أ ف ب)

> **تتّخذ الانتخابات البلدية المقبلة طابع المواجهة، ولا سيما في أنقرة وإسطنبول**

وفق الصحافي المعروف، فاتح ألتايلي، فإن مرشّح «حزب العدالة والتنمية» الذي سيواجه إمام أوغلو، هو عادل قره إسماعيل أوغلو، وزير المواصلات والبنى التحتية من عام 2020 إلى حين ترشّحه الربيع الماضي للنيابة عن طرابزون وفوزه فيها. ويضيف ألتايلي أن إردوغان «يحبّ هذا النوع من العاملين في نشاطات الإعمار والمشاريع، فضلاً عن كونه شاباً (54 عاماً)». ويجدر التذكير هنا بأنه لن يكون في مقدور إردوغان الترشّح للرئاسة عام 2028، لأن الدستور الجديد سجّل له ترشيحين عامَي 2018 و2023، علماً أن المعارضة كانت ترى في ترشّحه عام 2023 مخالفة للدستور، لأنه كان ترشّح عام 2014 أيضاً وفاز. ولكن استفتاء التعديلات الدستورية عام 2017 يُسقط كل ما قبله، و«يصفّر» عدد الولايات، ليبدأ «العدّ من جديد». ومع هذا، فإن عدم ترشّح إردوغان لمرّة ثالثة (رابعة) ليس مؤكداً بعد، على اعتبار أن احتمال إجراء تعديلات دستورية جديدة يظلّ قائماً، على الرغم من أن السلطة لا تمتلك ثلاثة أخماس البرلمان الضرورية لتحويل مشروع قانون إلى استفتاء.

الحدث

عبد اللهيان في الرياض: الاتفاق يعود إلى «واقعيّته»

طهران - **محمد خواجوئي**

للمرة الأولى منذ 8 سنوات، زار وزير خارجية إيران، حسين أمير عبد اللهيان، العاصمة السعودية الرياض، ما يمثّل مؤشراً إلى أن اتفاق آذار الماضي، المبرم بين البلدين برعاية صينية، يمضي قدماً، على رغم هشاشة التفاؤل خلال المرحلة الماضية إزاء وتيرة التعاون الثنائي، وكذلك أثر الاتفاق على الملفات المختلفة في المنطقة. وتأتي زيارة عبد اللهيان، التي بدأت الخميس، رداً على الزيارة التي قام بها نظيره السعودي، فيصل بن فرحان، لطهران قبل شهرين، وهي كان مقرّراً أن تستغرق يوماً واحداً، قبل أن يضاف إليها يوم آخر، خُصّص للقاء وزير الخارجية الإيراني، ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، أمس، ما عزّز من طابع الخطوة السياسي والدبلوماسي. وأفادت وكالة الأنباء السعودية الرسمية، «واس»، بأن عبد اللهيان وابن سلمان بحثا الفرص المستقبلية للتعاون بين بلديهما وسبل تطويرها، مضيفةً إنهما «ناقشا تطورات الأوضاع الإقليمية والدولية، والجهود المبذولة تجاهها». وعقب اللقاء، قال وزير الخارجية الإيراني إنّ الاجتماع كان «صريحاً ومثمراً ومفيداً»، وجرى فيه «التشديد على أنّ الأمن والتنمية هما من حق الجميع». وأكد أنّ «قضية فلسطين والقدس هي محور القضايا في العالم الإسلامي»، وأضاف: «ولي العهد السعودي أرسل تحياته إلى قائد الثورة والجمهورية الإسلامية، السيد علي خامنئي».

وعلى الرغم من أن اتفاق آذار الماضي شكّل منعطفاً في العلاقات الثنائية، فاتحاً الباب على خفض التصعيد بين الرياض وطهران، بيد أن بعض التطورات، خلال الأسابيع الأخيرة، تسبّبت في تراجع النظرة الإيجابية إلى الاتفاق، إذ شكّل تباطؤ السعودية في إعادة افتتاح سفارتها في طهران ومزاولتها أنشطتها الدبلوماسية في الفنادق الإيرانية، والتماهل في إيفاد عبد الله العنزي سفيراً للمملكة إلى إيران، على رغم بدء السفير الإيراني علي رضا عنايتي مهامه في الرياض، إضافة إلى تعثّر مسار محادثات السلام بشأن اليمن، ومواقف السعودية ضد إيران في ما يخصّ حقل «الدرة/ أرش» الغازي، وزيادة التحركات العسكرية في الخليج وعدم تغيير السياسات السعودية تجاه لبنان، مؤشّرات إلى أن التفاؤل المُفرط يجدر أن يصبح أكثر واقعية.

كان مقرّراً أن تستغرق الزيارة يوماً واحداً، قبل أن يضاف إليها يوم خُصّص للقاء ولي العهد (أ ف ب)

نظرة الرياض المشوبة بالحذر

يرى بريدا عطاران، الباحث في معهد بحوث «جيران» في طهران، أنه على الرغم من أن زيارة أمير عبد اللهيان للسعودية تمثّل تقدماً وتطوراً في العلاقات، إلا أن «السعوديين لا يبدون حرصاً كبيراً على تعزيز العلاقات ورفع مستواها مع طهران». ويقول عطاران، في حديث إلى «الأخبار»، إن «الهدف الرئيس للسعوديين من الاتفاق هو احتواء إيران، وذلك من أجل الحدّ من التوترات في المنطقة، وأن يتمكنوا من حسم حرب اليمن بشكل أسرع». كما يرى أن «السعوديين لا يملكون دافعاً كبيراً لتمتين العلاقات الثنائية وتعميقها، واحد

> **بعض التطوّرات تسبّبت في تراجع النظرة الإيجابية المبالغ فيها تجاه هذا الاتفاق**

المؤشرات إلى ذلك هو المماطلة في إعادة افتتاح السفارة السعودية في طهران وإيفاد سفير ومزاولة أنشطة السفارة والقنصلية من الفنادق».

التحذلات الاميركية والإسرائيلية

من جهته، يرى كامران كرمي، الصحافي والباحث الزائر في «معهد دراسات الشرق الأوسط الاستراتيجية» في طهران، أن زيارة وزير الخارجية الإيراني للرياض هي «بمنزلة تأكيد آخر على الحرص على توطيد العلاقات الثنائية في ضوء النظرة إلى القضايا الإقليمية، تأسيساً على بيان 10 آذار في بكين»، وإظهار لكون «الطرفين يخطوان خطوات بطيئة، لكنها متواصلة لحسم ملف العلاقات الثنائية». ويقول كرمي، في حديث إلى «الأخبار»، إن «نظرة إيران اليوم إلى الاتفاق أصبحت أكثر واقعية، وطهران تتّخذ خطوات بطيئة ومتّزنة بما يتناسب مع السلوك السعودي»، مضيفاً إن «السعودية ترى في سلوك إيران في اليمن عاملاً مصيرياً في مسار العلاقات مع طهران». ويعتقد كامران أن «سلوك الإدارة الديموقراطية في واشنطن تجاه السعودية، وسعيها لإنجاز تطبيع بين الرياض وتل أبيب» يمثّلان «عاملين مصيريين أيضاً، من جهة إيران». وينظر كرمي، في الوقت ذاته، بنظرة لا تخلو من التفاؤل إزاء مستقبل العلاقات؛ إذ «على الرغم من العوامل المذكورة، فإن خريطة طريق الاقتصاد السياسي للسعودية في المنطقة، والزحف الصيني في الخليج، يشكّلان عاملين أساسيين، يسهمان في إرساء العلاقات الإيرانية - السعودية».

ويرى أنه «إن كان مقرّراً ألا تنتفع إيران من الاتفاق مع السعودية، فإنه يتعيّن عليها أن تطلب من الجانب الصيني بوصفه ضامناً للاتفاق، أن يتدخّل ويؤكّد أن الضفتين الشمالية والجنوبية للخليج، يجب أن تتحرّكا بالاتجاه نفسه، وبشكل متوازن في ما يتعلق بالأمن والتنمية المستدامة».

اليمن

تشاؤم يظلّل الزيارة العاشرة: لا جديد في جعبة عُمان

صنعاء - **رشيد الحداد**

يواصل الوفد العماني، الذي وصل إلى صنعاء قبل يومين، محاولته المتجدّدة لإحداث خرق في جدار السلام في اليمن، وتحديداً في ما يخص ملف صرف المرتّبات. وتأتي هذه الزيارة، التي تُعدّ العاشرة منذ منتصف عام 2021، بعدما توعّد قائد حركة «أنصار الله»، عبد الملك الحوثي، التحالف السعودي والولايات المتحدة، بردٍّ «حازم وصارم» على خلفية «تهرّبهما من تنفيذ استحقاقات السلام»، لافتاً إلى «(أنّنا) منحنا الوساطة العمانية القدر الكافي من الوقت، بينما كان ردّ تحالف العدوان الماطلة في تنفيذ الالتزامات السابقة التي تمّ التوافق حولها مع صنعاء»، على مدى نحو عام ونصف عام من بعد دخول الهدنة حيّز التنفيذ.

وعلى خلفية ذلك التهديد، يبدو أن الحفاظ على التهدئة صار هدفاً مشتركاً وأولوية قصوى لملامح المتحدة والولايات المتحدة، كونها المكسب «اليتيم» من كلّ الجهود الدبلوماسية التي بُذلت على مدى السنوات الماضية. ولذا، عاد الوفد العماني إلى صنعاء حاملاً مقترحات أممية وأميركية تربط تنفيذ بنود الملف الإنساني بالموافقة على تمديد الهدنة لستة أشهر جديدة قابلة للتمديد، مع ضمان قيام الأمم المتحدة بعقد مفاوضات بشأن عدد من الملفات الخلافية، وعلى رأسها الرواتب والأسرى والطرقات. ومن بين ما جرى اقتراحه، بحسب المعلومات، رفع معدّل الرحلات التجارية الجوية من مطار صنعاء، وفتح وجهات جديدة إلى القاهرة وعواصم أخرى، مع بقاء «التسهيلات» المقدّمة لميناء الحديدة، في مقابل استمرار ربط صرف المرتّبات بموافقة «أنصار الله» على المشاركة في حوار يمني - يمني، بما يتساوق مع رؤية الولايات المتحدة، والتي أعاد مبعوثها، تيم ليندركينغ، طرحها في جولته الأخيرة على المنطقة، مُعرباً عن قلقه من تهديد صنعاء بالعودة إلى التصعيد، وفق ما نقلت عنه وسائل إعلام سعودية. إزاء ذلك، تصف مصادر سياسية في صنعاء مقترحات الوفد العُماني بأنه «سبق أن تمّت مناقشتها، ولا جديد فيها سوى السعي لوقف أيّ تصعيد محتمل من قِبَل صنعاء»، فيما يقلّل عضو المكتب السياسي لـ«أنصار الله»، عبد الله النعمي، في حديثه إلى «الأخبار»، من فرص نجاح الوفد في إحداث اختراق جادّ في الملف الإنساني، معتبراً أنه «لا خيار أمام حكومة الإنقاذ سوى تلبية مطالب الشعب بانتزاع حقوقه بالقوة»، وأن «العودة إلى الحرب صارت ضرورة للخروج من الوضعية القاتلة التي تعيشها البلاد». وفي الاتجاه نفسه، رأى وزير الدولة في حكومة الإنقاذ، عبد العزيز البكير، في تغريدة عبر منصة «إكس»، أنه «ما لم تعالج هذه

> **يقلّل مراقبون من فرص نجاح الوفد العُماني في إحداث اختراق جادّ في الملف الإنساني**

الزيارة الملف الإنساني، وفي مقدّمته صرف مرتبات الموظفين، فإن صنعاء ماضية في انتزاع حقوق اليمنيين ومطالبهم المشروعة بطريقتها». وكان رئيس وفد صنعاء التفاوضي، محمد عبد السلام، ربط، في تصريح صحافي خلال وصوله برفقة الوفد العماني إلى مطار صنعاء، نجاح المفاوضات بالتوصّل إلى معالجات جادّة للملف الإنساني، معتبراً أن «أيّ عملية تفاوضية لا تقدّم تلك المعالجات الأكثر إلحاحاً لا يمكن أن تشير إلى نوايا إيجابية لدى الطرف الآخر»، متّهماً الرباعية الدولية (أميركا وبريطانيا والسعودية والإمارات) بأن «موقفها موحّد في عرقلة الملفّ الإنساني».

أمّا المبعوث الأممي إلى اليمن، هانس غروندبرغ، فدعا، خلال إحاطته الأخيرة أمام مجلس الأمن، «كل الأطراف إلى الامتناع عن الخطاب التصعيدي»، محذّراً من تبعات التهديدات العلنية، ومشدّداً على ضرورة التوصّل إلى اتفاق سياسي، وانتزاع التزامات فعلية بالمضيّ نحو استئناف عملية سياسية يمنية شاملة.

وفيات

إنّا لله وإنّا إليه راجعون
بالرضى والتسليم لمشيئة الباري تعالى
ننعى إليكم وفاة فقيدتنا وكبيرتنا المأسوف عليها المرحومة
عائدة شاكر صعب
أرملة الوزير والنائب السابق المرحوم توفيق سليمان عشاق
أولادها: غسان وزوجته نانسي باريكيان وأولاده نورا وعائلتها توفيق ومايا
وليد وزوجته لينا عساف وأولادهما ميرا وعائلتها، رامي ومازن
مروان
رنده زوجة الوزير عباس الحلبي وأولادهما مروان وعائلته، سليم وعائلته ولبنى
أشقاؤها: عائلة المرحوم فريد صعب، عائلة المرحوم رياض صعب، عائلة المرحوم زياد صعب، عائلة المرحوم سامر صعب
شقيقاتها: عائلة المرحومة هدى نجيب صعب، عائلة المرحومة غادة نجيب الفقيه
أسلافها: عائلة المرحوم يوسف عساف، عائلة المرحوم سليم عساف، عائلة المرحوم أنيس عساف، عائلة المرحومة سلوى الجعفري
صُلي على جثمانها الطاهر في منزلها في عيتات، قضاء عالية يوم الخميس 17 آب 2023 ووري الثرى في مدافن العائلة.
تُقبل التعازي اليوم السبت 19 وغداً الأحد 20 آب 2023 في منزلها في عيتات ابتداءً من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى السابعة مساءً.
لكم من بعدها طول البقاء

رئيس مجلس النواب
أعضاء مجلس النواب
ينعون بمزيد من الأسى زميلهم المأسوف عليه
النائب السابق المحامي
حسن محمد عليوة
المنتقل إلى رحمة الله تعالى الإثنين 14 آب 2023.

رئيس مجلس النواب
أعضاء مجلس النواب
ينعون بمزيد من الأسى زميلهم المأسوف عليه
النائب السابق الدكتور سليمان كنعان
المنتقل إلى رحمة الله تعالى الثلاثاء 15 آب 2023

إعلانات رسمية

دعوة
إلى محمد عبد الرحمن السوسي مجهول محل الإقامة
بناءً على الاستحضار المُقام ضدك من صباح حسين محمد حجي بمادة تفريق والمدونه برقم أساس 4/1035 سنة 2023 قررت محكمة صيدا الشرعيه السنيه اعتبارك مجهول المقام وإبلاغك أوراق الدعوى بواسطة اللصق والنشر فعليك الحضور إلى هذه المحكمة خلال عشرين يوماً لاستلام أوراق الدعوى وعند تخلفك تُتخذ بحقك الإجراءات القانونية وكتب في 2023/7/18.
رئيس القلم
الشيخ فارس الحاج شحادة

اعلان
صادر عن محكمة مرجعيون المدنية / عقاري
إلى المطلوب إدخاله موريس متري ناصح المجهول محل الإقامة بمُقتضى الدعوى المُقدمة برقم أساس 2017/307 من المُدعي فادي إميل خيرو بوجه المُدعى عليه إيلي ادكار المواس بموضوع إلزام بالتسجيل للقسم /5/ من العقار /1555/ منطقة ديرميماس العقارية، بقتضي حُضورك إلى قلم هذه المحكمة بالذات أو بواسطة وكيل قانوني لإستلام استحضار الدعوى وُمرفقاته وإتخاذ مقام ضمن نطاق هذه المحكمة، علماً أن التبليغ يتم قانوناً بإنقضاء مُهلة عشرين يوماً على نشر هذا الإعلان، وذلك ضمن أوقات الدوام الرسمي وإلا جاز إبلاغك كافة أوراق الدعوى بواسطة رئيس القلم.
رئيس القلم
محمد حرب

مطلوب

مطلوب لشركة حطيط العالمية للتجارة والمقاولات مندوب مبيعات يمتلك خبرة مُمتازة في الأدوات الصحية كافة لا تقل عن 10 سنوات.
الاتصال على الرقم: 03/645666

استراحة

إعداد **نعوم مسعود**

كلمات متقاطعة 4383

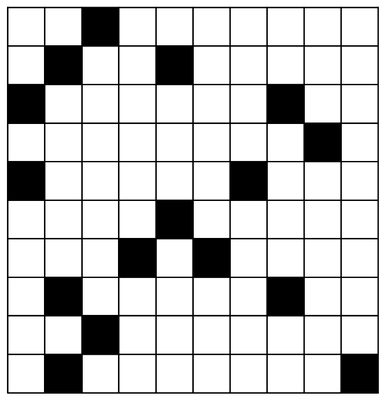

أفقيا
1- نهر أوروبي – مدينة إيرانية – 2- من الحيوانات نوع من الأبائل – صفهًا صفاً متراصاً – 3- حرف جزم – نوع من السحالي تحولت مع الزمن الى أفعى غير سامة – 4- من الأثواب الفضفاضة – 5- مشروب ساخن – بلدة لبنانية تحمل نفس الاسم في قضائي جبيل وصور – 6- طفولة – مدينة فرنسية – 7- يخطف الأنظار – يبذر الأرض – 8- جرذ بالأجنبية – أعلى الجبل – 9- يسوّرهما – عملة آسيوية – 10- أشخاص يؤدون لقطات ثانوية في فيلم سينمائي

عمودياً
1- فنان لبناني راحل – 2- بين الجلد والعظم – اقليم في اسبانيا – 3- يجري في العروق – عاشده وأزره – أنت بالأجنبية – 4- ماركة سيارات – نرمي بالحجارة – 5- احدى مواطنات دولة أوروبية – لسان النار – 6- طاب كالسكر – وسما الرسالة بعلامة مميزة – 7- مصيف لبناني – قديس – 8- وعاء واسع الأعلى ضيّق الأسفل يُنقل به التراب بلغة العامة – 9- نبات طيب الرائحة يُعرف بالحبق – 10- طعم الحنظل – مركب بحري

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- اولان باتور – 2- برازيليا – 3- لم – آرال – لس – 4- مصاغ – قيس – 5- بارودة – يال – 6- يروني – منحت – 7- اين – زق – إبن – 8- ال – رت – 9- شذّ – أنوار – 10- الإنكشارية

عمودياً
1- اولمبيا – ما – 2- مصاريف – 3- لب – ارون – شا – 4- اراغون – أذن – 5- نار – ديزل – 6- بزاقة – اش – 7- ايلي – رنا – 8- تل – سيناتور – 9- ويل – أحب – اي – 10- راس التنورة

sudoku 4383

		7	5		9	4		
5	8	9		1		6	7	2
9			2		1			
7	5						1	4
			8		5			3
8	6	5		3				
						8	9	5
		1	7		8			

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4382

2	1	8	3	4	5	7	9	6
7	9	4	8	1	6	2	5	3
6	5	3	2	7	9	1	8	4
4	7	1	6	9	8	5	3	2
9	2	6	1	5	3	4	7	8
3	8	5	7	2	4	9	6	1
5	6	2	4	8	7	3	1	9
1	3	9	5	6	2	8	4	7
8	4	7	9	3	1	6	2	5

مشاهير 4383

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

كاتبة إسبانية (1926-2017). توفيت عن عمر كبير بسبب مرض السرطان
6+11+8+3+9 = غليان ■ 1+4+2+4+5 = آلة موسيقية ■ 10+7+4 = حقل العنب

حل الشبكة الماضية: **رشاد ابو شاور**

البلاد

مخيّم جنين: خلف الأسطورة أطفال نهشتهم الكلاب

مي البزور

[توصيات ونداء لاستمرار التضامن مع أطفال وأهالي مخيّم جنين]

احترت جداً في كتابة هذه المقالة، فقد وجدت صعوبة كبيرة في الكتابة عن الواقع المعيش في مخيم جنين. ليال عدّة وأنا أفكر كيف لي أن أكتب مقالة تصوّر ما رأيته، وما سمعته، وما شعرت به لدى زيارتي لمخيم جنين؟ تارة، كنت أتخلى عن الفكرة، أشعر بذنب يرتبط بالتواطؤ مع حالة التعتيم والمحو التي يساهم بها بعضنا والعالم أجمع نحونا، وفي تارة أخرى، أحيل ما لديّ من صعوبة في الكتابة لأنغماسي في الكتابة الأكاديمية لسنوات؛ والتي وإن كانت تساهم في فهم الواقع، إلا أنها في الوقت ذاته تغترب عنه

أظهرت لنا أحلام آثار عضّات الكلاب على يدها وراسها، وشرحت لنا كيف اقتلع الكلب «طاحونتها» بعدما رماها ارضاً، وكيف نهش الكلب فكّ ابنتها

شيئاً فشيئاً، وتخلق بمناهجها فجوة قسرية - إن صح التعبير - بين ما ينتجه الأكاديمي من معرفة، وبين المجتمع الذي يتناوله في دراساته. وقد تعود صعوبة الكتابة في هذا الشأن، إلى صعوبة واستعصاء فهم واقع المخيم ذاته، بتعقيداته السياسية الجمّة، والتي لا يستطيع الإعلامي أو الأكاديمي تصويرها أو نقلها بشفافية، قلقاً من التحدث نيابة عن أصحاب الشأن في المخيم، وقلقاً من الوقوع في فخّ قراءة اجتماعية سياسية خاطئة من زيارة واحدة، قد تغذّي رؤى القوى القمعية مهما كانت، وأينما كانت، من أسفل الهرم الى رأسه ومن خارجه أيضاً. ولفك هذه الحيرة، ارتأيت بالنهاية أن أصوّر بالكلمات بعضاً مما جاء في الزيارة، من دون تحليل، وبعيداً عن النقاشات السياسية التي تضمنتها الزيارة، وذلك رغم إيماني بعجز هذه الكلمات عن نقل الصورة الحية النابضة للواقع الأليم في المخيم، وأرجو من الذين لا يقوون على الألم عدم استكمال قراءة المقالة، وخاصة لدى وصف مجريات زيارة البيت الثاني. وبهدف التركيز على الفكرة الكامنة في تلك التجارب المريرة، تم استخدام الأسماء المستعارة في سرد هذه الشهادات الحية.

وللتوضيح قبل البدء: إن التركيز في ما هو قادم بالمقالة على التجارب الأليمة التي مرّ بها الأهالي والأطفال في مخيم جنين، وعلى التحديات النفسية التي تواجه الأهالي والعاملين في الخدمات النفسية والاجتماعية بعد انتهاء الاجتياح، لا يتعارض مع حالة الصمود داخل المخيم، فلا التركيز على الألم ينفي حالة الصمود الجماعي، ولا العكس كذلك.

مجريات زيارة المخيم في تاريخ 18 تموز 2023:

بالقرب من بوابة المخيم، سرت مع الزملاء بخطوات مترددة، ممزوجة بالرهبة والقلق، وبرغبة شديدة مزدوجة، تفيد بالمضيّ قدماً نحو المخيم، أو بالتوقف والعودة من حيث أتيت، لأن عبور البوابة نحو المخيم يعني أن تكون الشاهد على الألم، يعني أنك من الخارج، وأن هنالك فلسطينياً وفلسطينياً آخر، وأن هنالك درجات من القمع والعنف الاستعماري صاغت تجارب تاريخية مختلفة في المناطق الفلسطينية كوّنت بين الضحايا متفرجين في ذات السجن.

التقينا بالأختصاصية النفسية هديل خنفر على بوابة المخيم، والتي خطبتُ بالتعرف عليها وعلى تجربتها في الميدان، من خلال تدريسي لمساق حول التدخل المجتمعي ضمن برنامج الماجستير في علم النفس المجتمعي في جامعة بيرزيت. - إذ كانت هديل من بين مجموعة مميزة من الطالبات، معظمهن نساء عاملات وناشطات ميدانياً في تقديم الخدمات النفسية والاجتماعية لفئات مختلفة من المجتمع الفلسطيني من جنين إلى الخليل - وبدأنا بالمشي برفقة هديل لزيارة زَنّبتها مسبقاً لثلاث عائلات أطفال من المخيم، ومنذ أن خطونا الخطوة الأولى بعد عبور البوابة، سمعنا عبارات الترحيب من هنا وهناك، وكان هنالك رجل مسنّ يتحدث وهو يمشي مقترباً إلينا: «أهلاً بكم، أهلاً وسهلاً، شو بدكم تشوفوا، إحنا ناس ما بناذي حدى، إحنا بنحبّ الخير لكل الناس في العالم، ما عنا مشكلة مع الديانات كلها، بس مشكلتنا مع الاحتلال، بدنا يبطلوا أذى، قلولنا موجودة، قلولنا منكوية، دمروا المخيم، احنا تعبانين،... أنا ابني استشهد باجتياح الـ 2002 ، ابني طار وتمزع قطع، عندي صور لإيديه وصور لإجريه كل شي لحال، ... بدكم تحكوا مع أهل المخيم؟ احكوا، رح تشوفوا انو كل الأهالي، الآباء والأمهات بالمخيم، كلنا عنّا أمراض ضغط وسكري، كلنا قلوبنا محروقة على ولادنا، ... تفضلوا نشربكم إشي، تعالوا نضيّفكم، أهلاً وسهلاً»، بعد سماع هذه الكلمات، انهمرت دموعنا قسراً منذ اللحظة الأولى، وهنا أدركت أنه لا داعي لترتيب مسبق لدينا لانتقاء كلمات المساندة والمواساة المناسبة أثناء الزيارة، بل إن مفتاح الدخول إلى المخيم، يتمثل بترك كل الكلام على البوابة والدخول إلى المخيم بالقلب فقط.

مشينا قليلاً في المخيم وصولاً إلى بيت الطفلة لارا، والتي تبلغ من العمر 8 سنوات، لا باب لمنزلها، فقد تم تفجيره، نادت هديل من الخارج وجاءت أم الطفلة لارا تستقبلنا، تشرح لنا السيدة «أم لارا» ما حدث للمنزل أثناء دخولنا، فتشير إلى حفرة في ذلك الحائط، وإلى رصاصات هنا وهناك، وإلى تحطيم ممتلكات المنزل، وإلى أدوات مطبخ ومقتنيات لم تعد موجودة،... ثم جلسنا في غرفة تم توضيبها أخيراً بعد الاجتياح، تنادي الأم على لارا، تسعد لارا بلقاء هديل بابتسامة خجولة، تجلس الأم، تتحدث والدموع تنهمر من عينيها طوال الوقت، فقد بدا لي أن عيونها تذرف الدمع بشكل تلقائي مستمر، فلا تقوم بمسحها أو الانتباه إليها أثناء حديثها، وكأنها اعتادت عليها. ثم حدثتنا الأم عن لارا وعن تبعات الاجتياح: «ما خلّوا إشي، أعابها كسّروها، وكتبها مزعوها، ومريولها للمدرسة كمان ممزّع»، «بنتي ما بدها تروح على المدرسة، بتخاف»، طلبت الأم من لارا الحديث، وبدأت الفتاة بالحديث بخجل عما حدث، الطفلة تتحدث عن موت أرنبها ودراجتها وألعابها التي أتلفها الجنود، أثناء ذلك، دخل والد لارا ، واستكمل ثلاثتهم الحديث، وأضاف الوالد: «طخوا أرنب لارا ، و(أي بادها) كسّروه، وباسكليتها بالشارع زتوه، وهرسوه بالجرافة»، ويستكمل حديثه: «لما فاتوا على الشارع رحت فتحت باب الدار علشان ما يفجروه ولا يفجروا مدخل البيت، وفجروه، والله من أسبوع بلطته بلاط جديد» ، ... ثم عاد الزوجان لوصف المشاكل التي تواجه أطفالهم حالياً، وعبرّا عن حاجتهما لمساعدة أطفالهم لتخطي هذه المرحلة، ومن ثم دار نقاش بيننا مع هديل حول مشاكل الأطفال الأكثر تكراراً بالمخيم، والتي تجلت بمظاهر أعراض الصدمة التالية: التبول اللاإرادي، وعدم القدرة على النوم، ورفض الذهاب إلى المدرسة (للتوضيح: مدارس وكالة غوث وتشغيل اللاجئين تعمل في الصيف بسبب حالة الإضراب السابقة)، ورفض الخروج من المنزل، أو الرغبة الشديدة في البقاء بمراكز الإيواء خارج المخيم، إضافة إلى مظاهر الصمت المستمر (السرحان)، والصراخ بشدة بلا سبب، وعدم القدرة على إتمام الحديث، ونسيان أمور أساسية كعدم معرفة العمر لدى السؤال، وهنا أورد الأب عن طفلته: «لارا لا تستطيع النوم بتاتاً إلا إذا حضنتها»، ومن ثم عدنا لنقاش ما جرى بالمخيم الى أن خرجنا من البيت، وقبل خروجنا أصرّ الزوجان بشدة على بقائنا لاستكمال حسن الضيافة والعودة لزيارة أخرى، ونحن أصررنا بدورنا على شكرهما وشكر لارا لاستقبالنا ولمشاركة ما حدث معنا.

مشينا ونحن ننظر إلى الضرر الهائل الذي خلّفه الاجتياح في بيوت وشوارع المخيم، وقبل زيارتنا للمنزل الثاني، أوضحت لنا هديل أن العائلة الثانية التي ننوي زيارتها شهدت أقصى درجات العنف والترهيب، ... دخلنا إلى المنزل ورحّب بنا الأم «أحلام» كثيراً، ثم جلسنا، وتأكدت هديل بأسلوبها من رغبة أحلام بمشاركة قصتها معنا وجاهزيتها لذلك، بدأت السيدة بسرد ما جرى مطولاً، ولعل سردها المطوّل لم يكن كافياً لوصف ما مرت به وعائلتها، من تعذيب نفسي وجسدي لا يمكن تصوره، سأحاول في ما يلي نقل جزء مما ورد في شهادة أحلام التي روتها لنا بدموعها:

«كنا في المنزل أنا وزوجي وابني خالد 15 سنة، وابنتي ليان 17 سنة، وابني رامي 10 سنوات، سمعنا صوت الجنود في الحارة في صباح اليوم التالي للاجتياح، طلع زوجي ليفتح الباب حتى لا يفجروه، لكنهم فجروا الباب واختفى زوجي وما رجع بعد التفجير (كان الجنود قد احتجزوا الزوج، لكن أحلام والأطفال لم يعلموا مصيره في تلك اللحظة)»،... أكملت أحلام: «دخل عنا في البيت حوالي 45 جندي، معهم كلاب مدربة، أنا وولادي لاحظنا أن الكلاب بدت بالهجوم علينا، واحد من الولاد قدر يتخبى بسرعة بغرفة النوم هناك، وبنتي قدرت تحمي أخوها الصغير رامي وزقته بالحمام وسكرت الباب عليه بسرعة، هاجمتنا الكلاب أنا وبنتي في هديل الغرفة»، أحلام تتنفس بصعوبة أثناء وصفها لما حصل، وتكمل «لمدة ساعة وأنا وبنتي مع الكلاب المتوحشة والجنود موجودين بالبيت وما عملوا ولا إشي،... بنفرجوا»، أظهرت لنا أحلام آثار عضات الكلاب على يدها ورأسها، وشرحت لنا كيف اقتلع الكلب «طاحونتها» بعدما رماها أرضاً، وكيف نهش الكلب فك ابنتها، وتشرح عن الدماء التي سالت منهما، وتشرح وتبكي ونحن نبكي، وبالطبع احترمنا رغبتها، وتحدثنا بأمر آخر معه لا علاقة له بالاجتياح وتبعاته. بالطبع لم تكن مشاركة أحلام لنا بما حدث معها أمراً يسيراً، فتجربتها قاسية لا يتصورها العقل، لكن أحلام رغبت بشدة أن يعلم الناس ما حدث لها ولأطفالها، أحلام تحتاج إلى استرداد الشعور بالأمان. ولدى لحظة خروجنا من المنزل، لم يكن سهلاً علينا أن نذهب، ولم يكن سهلاً علينا ذلك أيضاً، لأن تركها وحيدة مع الأطفال في المنزل يعني عدم الأمان بالنسبة إليها، ويعني التفكير بمواجهة كل ما ذكر أعلاه مراراً وتكراراً. خرجنا من المنزل، وأحلام تصرّ على استكمال عادات حسن الضيافة طالبة منا أن نعود مرة أخرى.

خرجنا من منزل أحلام مثقلين بالهموم وبالعجز، وانتقلنا لزيارة قصيرة لجمعية «كي لا ننسى» التي تعمل فيها هديل، وهي جمعية تقدم خدمات دعم اجتماعي ونفسي لحوالي 300 طفل/ة في المخيم، كانت زيارتنا في اليوم الأول الذي استأنفت به الجمعية أحد أنشطتها مع الأطفال، وهو «دروس تقوية»، وكان هنالك مجموعة صغيرة من الأطفال تدرس برفقة احدى العاملات بالجمعية، وسرعان ما جاء الأطفال الينا ليتحدثوا عما حدث لهم ولعائلاتهم، الأطفال يحملون معهم صور أقاربهم الشهداء، والتي شاركوها معنا: «مس أنا استشهد خالي، هيو»، «مس أنا اجوا عنا اعتقلوا أخوتي التنين»، «مس احنا خربوا بيتنا»، وعبّرت زميلات هديل في المؤسسة (السيدات لمياء ومجد وهيفاء) أن مشاركة الأطفال حالياً ضعيفة جداً بأنشطة الجمعية، بسبب خوفهم من ترك المنازل، كما عبّرن أيضاً عن التحديات الجمة التي تواجههن في العمل على الحد من تبعات حالة الصدمة الجماعية لدى الأطفال، ومن خلال زيارة العائلات والنقاش مع هديل وزميلاتها تبيّن أن: حجم الألم لا يوصف بالمخيم، وأن شدة الصدمة حاضرة في عيون سكان المخيم، فالمخيم جريح، ولا يحتاج فقط إلى المساعدات المادية، بل هنالك حاجة ماسة إلى التضامن والتكاتف المجتمعي والمواساة، وبشكل عام ورد في النقاشات ذكر الفارق في درجة وحشية هذا الاجتياح عن سابقيه، بأنه اجتياح عسكري مترافق مع اجتياح نفسي ممنهج وموجّه باتجاه هدم بنية العائلة، عبر تنفيذ عمليات تعذيب جماعي استهدفت النساء والأطفال الصغار والبالغين تحديداً.

وأخيراً، كانت طريقنا إلى المنزل الثالث هي الأطول مسافة، والأثقل على الصدر، وخاصة بعدما علمنا أننا سنذهب لزيارة عائلة الطفل زين (5 سنوات) والطفلة أمل (10 سنوات)، بعدما استشهد أخوهما زيد (16 سنة) في الاجتياح الأخير، حيث التقينا بشقيقة زيد الأخرى الطفلة حنين (14 سنة) في طريق عودتها من المدرسة إلى المنزل، كانت حنين تضع قلادة عليها صورة زيد. ذهبنا إلى المنزل معها لرؤية الطفلين زين وأمل، وصلنا إلى مدخل المنزل، وفي هذه اللحظة بالتحديد، لا أعتقد أن هنالك شيئاً في الدنيا يمكن أن يخفف من وطأة لقاء أب وأم قد فقدا طفلهما للتوّ، وبسذاجة مفرطة، اعتقدت أن هذا هو أثقل حمل ممكن أن يتعرّض له الوالدان، لكن والد ووالدة زيد، في منزلهما تاريخ من الوجع، والفقد، والعذاب، يرافق هذا التاريخ نبع لا يتوقف من الحب والعطاء، فزيد استشهد في اجتياح تموز 2023، ومن قبله شقيقه زيد استشهد أيضاً في اجتياح نيسان 2002 عن عمر يناهز 14 سنة. هل لي القول إن القلب لم يعد يقوى في تلك اللحظة على الاستمرار، نحن في حضرة وجع شديد، فالأب والأم والإخوة والأخوات مُتعبون، عيونهم تروي المعاناة والألم من دون الحاجة إلى الكلام، الأب يتحدث عن عذاب أبنائه وعن حبه لأبنائه، وعن استعداده لحمايتهم لآخر رمق، وحدّثنا بعمق عن تاريخ طويل من محاولاته المستمرة لحمايتهم، وعن كدحه بالعمل لسنوات لتوفير مقومات منزل دُمرت أمامه في لحظات. حدثنا الزوجان عن زيد، وعن ابتسامة زيد الجميلة، وعن مجريات استشهاده، و و و، وكيف دخل الجنود إلى المنزل، وكيف طلبوا من طفلهما زين ذي الخمس سنوات أن يضع يديه في أذنيه ليقوموا بتفجير باب المنزل أمامه، زين مُتعب، وأكمل الأب في حرقة - لم ار مثيلها في حياتي -: «ونور، ابني نور كمان، ابني نور بحب الحياة وبحب السفر، سافر على العقبة وشرم الشيخ وزار الشط والبحر، وعنده أحلام كبيرة، نور تعرض للتعذيب في هاي الغرفة لثماني ساعات متواصلة، تناوب الجنود في تعذيبه وضربه بالحديد»، الأب: «حاولت مساعدته، أنا بحكي عبري منيح، اشتغلت بإسرائيل زمان، حكيت معهم، ناقشتهم، حكيت عن كذا، وعن كذا، وعن كذا، ما في فايدة ضلّوا يعذّبوه»، نور معتقل الآن، لم يحاكم لأنه بحاجة إلى العلاج وهو في المستشفى حالياً، الأب: «زيد استشهد، ونور معتقل، و... و... ولكن ماذا أفعل مع زين؟ ما هو مستقبل زين؟».

صمت وصمت ونقاش وعودة للألم، نقاش، وصمت، وألم، وهكذا استمرت الزيارة، إلى أن خرجنا، ووعدنا العائلة بزيارة أخرى. وأثناء خروجنا، أخذنا الطفل زين والطفلة أمل في جولة حول البيت وداخله، وهما يشرحان لنا حول التخريب الذي حصل، ثم ودّعنا زين وأمل وخرجنا.

نزلنا من البيت، ومشينا في طريق العودة بخطى متثاقلة، وكأن الألم استوطن في الروح والجسد. أثناء عودتنا إلى مدخل المخيم، لم يتوقف الأهالي عن الترحيب بنا وعن دعوتنا للزيارة، «اتفضلوا»، وخرج لنا شاب من محله التجاري، مقدماً لنا زجاجات مياه باردة من شدة الحرّ في ذلك اليوم، لا بل من شدة الألم. وصلنا إلى مدخل المخيم، ومن جديد ترتبك المشاعر عند بوابة المخيم، في هذه اللحظة لم أرغب بالخروج من المخيم وتخطّي البوابة، أحاديث كثيرة تتداخل في نفسي، تتضارب، تتساءل عن الـ«نحن» الفلسطيني، وكيف تشرذمت الـ«نحن»، أسئلة متسارعة تستعيد تاريخ علاقة المخيم بمدينة جنين، علاقة مدينة جنين بمدينة رام الله. فهل احتجت وأنا ابنة مدينة جنين إلى أن أتعرف على هديل في رام الله لأجد وسيطاً لزيارة الـ«نحن»؟ أسئلة تطرح بقوة مدى حاجتنا الماسّة إلى العمل على تكاتفنا وتضامننا عبر تقوية أواصر الـ«نحن» نفسياً واجتماعياً، لعلّها تشقّ طريقها يوماً ما إلى ردم فجوات الانقسامات السياسية. أما لمن يريد أن يفهم ما جرى وما يجري في مخيم جنين سياسياً، فلن تسعفه الكلمات أعلاه، ولا أيّ كلمات أخرى تُقلت عن المخيم، فالواقع تراه هناك فقط، تسمع عنه على لسان الأهالي والأطفال في المخيم أنفسهم، بمواقفهم المتباينة جداً والمتشابهة جداً في ذات الوقت، تجاه فكرة البطولة التي يُروّج لها مجتمعياً وسياسياً وإعلامياً، والمتمثلة بحالة وجود مخيم أعزل يضع على عاتقه قضية إنسانية وأممية وكونية إن صح التعبير.

في شوارع المخيم

في شوارع المخيم

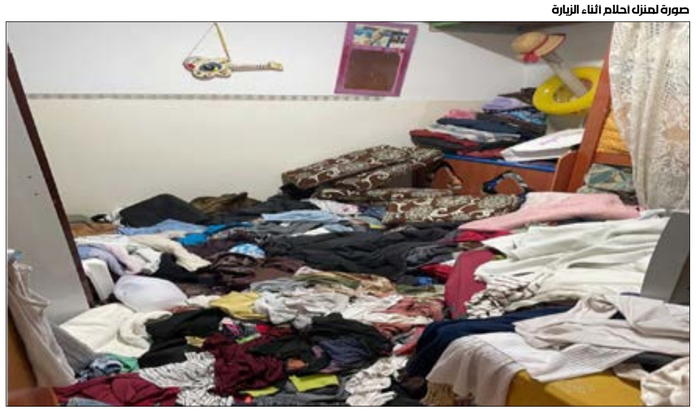

صورة لمنزل احلام اثناء الزيارة

توصية:

بعد نقل جزء من واقع الأطفال المَعيش في مخيم جنين في هذه الزيارة، ومن خلال مجريات النقاش مع الأهالي والأطفال، تبين وجود بعض الإشكاليات في شكل ومحتوى التضامن المُقدَّم من قبل بعض المؤسسات والأفراد الناشطين في قضايا الطفولة في المجتمع الفلسطيني. تمثّل ذلك بتنظيم بعض النشاطات الفنية، والرياضية، والموسيقية مباشرة في الفترة الأولى بعد انتهاء الاجتياح، من دون مراعاة للحالة النفسية للأطفال، هذه الأنشطة لم تلائم الكثير من أطفال المخيم، ولم تشعرهم بالارتياح، ما أدى إلى عزوف الأطفال عن المشاركة بشكل عام. برأيي، هذا يدل على عدم وجود استعداد نفسي لدى الأطفال لهذا النوع من الأنشطة التفاعلية الحماسية، لعدم تخطيهم للمراحل الأولى من حالة الصدمة، فهنالك عملية نفسية يجب أن تأخذ مجراها لدى الأطفال، وتختلف من طفل إلى آخر، بحيث إن اشتراك الأطفال بأنشطة فنية وثقافية (غير مدروسة) مباشرة بعد الاجتياح قد يأتي بنتائج عكسية، ناجمة عن عدم مقدرة الأطفال على التفاعل، وبالتالي شعورهم بالعجز عن العودة إلى الوضع السابق للاجتياح، ما يعمق لديهم أعراض الصدمة والشعور بالاختلاف، بدلاً من أن يخفف من تلك المشاعر. لذلك الرجاء الحار من المؤسسات الثقافية والاجتماعية والأفراد الناشطين في قضايا الطفولة، عدم تصميم نشاط أو تدخل مجتمعي من غير تقييم الحالة النفسية لأطفال المخيم واستعداداتهم النفسية أيضاً. لذا يُنصح بزيارة المخيم أولاً، والحديث مع الفئة المستهدفة من الأطفال وأهاليهم حول احتياجاتهم واستعداداتهم للمشاركة، ومن ثم تصميم تدخل مجتمعي، أو نشاط ثقافي ملائم. يُضاف إلى ما سبق، الاحتياج الماس لدى الأهالي في المخيم للمساندة الاجتماعية في تخطيهم لما حدث، فالتفريغ النفسي والتكاتف الاجتماعي احتياج مُلِحّ، وبأبسط حدّ، بالإمكان زيارة الأهالي ومساندتهم بالاستماع إليهم فقط، النساء تحديداً بحاجة إلى المساندة والتضامن من قبل النساء والأمهات الأخريات، ليس بالضرورة أن تكون المساعدات مالية ومادية فقط، بل إن التضامن، والاحتواء، والتواجد من أهم آليات المناصرة والمساندة لتخطي الألم، وإن كان من الصعب تجاوزه.

البلاد

من الخيال إلى الواقع
معركة جنين في مسلسل «فوضى»

رغد غير

يقدم مسلسل فوضى الإسرائيلي، أهم المسلسلات الإسرائيلية الحديثة وأكثرها نجاحاً والذي يعرض على منصة «نتفلكس»، بطولات إحدى أهم وحدات الجيش الإسرائيلي في مكافحة «الإرهاب» وملاحقة «المخربين» في أكثر من ساحة فلسطينية. في الجزء الرابع من المسلسل، الذي عرض قبل بضعة أشهر، تم تسليط الضوء على المعارك الإسرائيلية في ساحة الضفة الغربية، وخاصة جنين. تعكس الرواية الصهيونية في عدة مشاهد علاقة «الإرهاب الفلسطيني» بحليفه العربي والإسلامي والأممي المتمثل بخطر إيران وحزب الله، على اعتبار أن المقاومة الفلسطينية «ذيل» لهذا المحور كما يصوره الخيال الدرامي الصهيوني في «فوضى»، وهي سردية صهيونية تستخدم في الإعلام أيضاً. كما يحاول المسلسل سلخ حالة المقاومة في جنين عن حاضنتها الشعبية.

تربط حلقات المسلسل اشتعال المعارك في جنين، بالحليفين الإقليميين إيران وحزب الله، فيقفز الخيال الصهيوني باكتشافه خلية «إرهابية» في جنين تعمل لمصلحة حزب الله، تمتد عملياتها لتصل إلى حد اختطاف أحد قادة الوحدات الصهيونية في أوروبا على يد عناصر لها بتنسيق فلسطيني لبناني، إضافة إلى العمل «الإرهابي» المستمر في جنين.

أولاً، من يقود المعركة؟

يعمل القائمون على مسلسل فوضى على إخفاء فلسطينية الصراع في روايتهم. ففي كل الأجزاء، يظهر الفلسطيني المقاوم كمخرب لا يمتلك أي هدف وطني تحرري، وكذيل لأيّ جهة تحرّضه على إراقة الدماء. في هذا الجزء تحديداً، نرى إيران تتصدر المشهد، وتتحمل مسؤولية تبعية الفلسطيني الإرهابي. ففي أحد المشاهد، خلال تحقيق أحد قادة أجهزة السلطة «أبو أسامة» مع زوجة عادل أحد «المخربين» الفلسطينيين، يقول «أبو أسامة»: «عادل بيغدرني وبيغدر المخيم وكل الفلسطينيين، وبينضم لمين؟ للإيرانيين، للشيعة الكلاب»، ليقول لعادل بعدها في مشهد آخر إنه: «خائن وعار على الأمة العربية». كما يتهم والد الشهيد «أبو خالد» المقاومين بالتبعية لخامنئي ونصر الله في مشهد احتكاكه مع المقاومين بعد استشهاد نجله. وفي مشهد آخر، نرى علم حزب الله في مختبرات الإعداد والتحضير للمقاومة، ويتم التركيز على كون «الضاحية الجنوبية» لبيروت مركز «الإرهاب» الذي يصدّر عمله التخريبي إلى فلسطين. كل ذلك بهدف محو الذاتية الفلسطينية في معركة التحرر، وبهدف محو سنوات من الاجتهاد الفلسطيني في خلق وسائل مقاومة من العدم.

إن هذا الخطاب الصهيوني في تصوير المقاومة الفلسطينية كتابع للأطراف الدولية أو الإقليمية ليس بجديد، بل هو خطاب تتم إعادة تدويره بتغيّر الأطراف الفاعلة في القضية الفلسطينية، وهو خطاب يتبنّاه الليبراليون العرب أيضاً، ونراه اليوم في مقالات كتاب «رصيف 22» وغيرها من المواقع التي تروّج لكون المقاتل الفلسطيني ذراعاً إيرانية في تساوق مع الرواية الصهيونية. على مرّ الأزمنة، وحقبات المقاومة الفلسطينية، كان ذلك نفس الخطاب الذي يفرزه المسار الصهيوني في محو الشعب الفلسطيني ونضاله، كان غسان كنفاني قد تطرق إلى تلك الرواية، في إحدى مقالات «فارس فارس»، منهكماً على مقالة لعمر حليق الذي وصف المقاومين بالمراهقين الذين يقاومون من أجل عرين جمال عبد الناصر في عصره، وعن تبعية الفلسطينيين للسوفيات.

استطاع انتصار المقاومة في «ياس جنين» هدم تلك البروباغندا الصهيونية، إذ كانت التغطية الحقيقية للمعركة على الشاشات وعلى مواقع التواصل الاجتماعي النقيض الواقعي للخيال الصهيوني

إن أبسط تفنيد لمثل تلك السردية أن من يقاوم في جنين اليوم هم أبناؤها على مختلف خلفياتهم وتوجهاتهم السياسية، وهو ما يظهره مقطع كتيبة جنين بعد معركة «باس جنين»، حيث يرتدي الملثمون خلال تلاوة البيان عصابات جبين تابعة لمختلف الفصائل الفلسطينية المقاومة، فيؤكدون فيه أنهم الصف الأول في وجه العدو حتى تحرير الأرض، ويوضحون العلاقة بينهم وبين الفصائل الفلسطينية كجبهة موحدة، والمقاومة العربية والإسلامية ودورها في دعم المقاومة الفلسطيني. إن التأكيد على الالتزام الفلسطيني بنهج المقاومة حتى التحرير، رفض للرواية الصهيونية التي تظهر المقاومة كفاعل مخرب اعتباطي لا يمتلك أي هدف تحرر ذاتي.

ثانياً، دور الحاضنة الشعبية

في مشاهد عديدة ومتفرقة، يظهر مسلسل «فوضى» الفلسطينيين عامة، وأهل جنين خاصة كجزء منفصل عن حالة المقاومة في المدينة والمخيم، في محاولة لسلخ المقاومة الفلسطينية عن حاضنتها الشعبية. في بداية الحلقة الثامنة، وتحديداً من الجزء الرابع، يعرض المسلسل للمشاهدين احتكاك «أبو خالد» والد أحد الشهداء مع مقاومين، أثناء محاولتهم وضع ملصق للأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، وملصق آخر للمقاومة الفلسطينية، فيقابلهم «أبو خالد» بالشتائم والسخرية، فيوجّه حديثه للمقاتلين ويحمّلهم ذنب مقتل ابنه، على أساس أن المقاومة الفلسطينية وخلفها حسن نصر الله يضحّون بأبنائهم كالـ«الخرفان» بحسب تعبيره. وفي المشهد نفسه، يقتحم جيش الاحتلال الشارع لاعتقال «أبو خالد» ليقول لهم: «جاي معكم برضاي» و«ابني ما مات شهيد، ابني قتلوه»، وكأنه مدرك لذنب «المخربين». أما خلال التحقيق حين تقول المحققة «ابنك إرهابي، حاول يقتل واحد منا في بيته» يردّ أبو خالد على المحققة: «كله بسبب عادل، عمله غسيل دماغ وكذب عليه مثل ما كذب على كل ولاد المخيم». ولا ينتهي لفظ أبو خالد للمخربين عند هذه الجمل، بل يكمل ليثبت كيف أن الفلسطيني لا يريد سوى أن يعيش، وأن ما ينغص عليه عيشه ويتسبب في قتله بشكل أساسي، هي المقاومة والقتال، فترى والد الشهيد يبرئ الاحتلال من دم ابنه الفدائي ويرى بفكر المقاومة «غسيل دماغ»، في حين يرى في الاحتلال الإسرائيلي خلاصه من الإرهاب.

أما في الواقع، وعلى عكس ما يدّعي المسلسل، يمكن رصد أهمية الحاضنة الشعبية الفلسطينية ودورها في دعم أبنائها المقاتلين، وكانت رواية أهل جنين أنفسهم خير دليل على احتضان الأهالي للمقاتلين، فمثلاً كانت النساء في المخيم يرتدين غطاء الرأس، ويفتحن أبواب بيوتهنّ للمقاتلين، لتسهيل حركتهم أثناء التصدي للعدوان، وانتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي رسائل تركها بعض الأهالي في جنين للمقاتلين تفيد بأنه يمكنهم استخدام أي شيء يحتاجون إليه في البيوت المفتوحة لهم، حتى إن بعض العائلات تركت لهم المال إن احتاجوا إليه. وبعد المعركة، ظهر بعض أهالي المخيم في وسائل الإعلام خلال التغطية، وكان من أهم ما قالوه إن الدمار والخراب الذي طال شوارعهم لا يهمّ، طالما أن المقاتلين بخير، وأنهم على استعداد لتحمّل كل الدمار، على أن لا يمسّ أيّ من المقاتلين ضرر.

يهدف المسلسل إلى بث الفتنة والمراكمة على الخطاب الطائفي واستثماره لستهلكي «نتفلكس» العرب، لغرض شيطنة المقاومة الفلسطينية، وتوجيه رسالة إلى حلفاء الصهاينة في الغرب أن خطر إيران يقترب وأن إسرائيل تقاتل الإرهاب نيابة عنهم. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن «ليور راز» مخرج المسلسل الذي يؤدي أيضاً دور البطل «دورون» اليهودي العراقي في الوحدة الخاصة، استطاع توظيف خلفيته العسكرية في جيش الاحتلال وخلفيته كيهودي شرقي في عكس خيال صهيوني فيه خليط من الرغبوية والواقعية في آن واحد، بغرض تفكيك الواقع الفلسطيني ومعه وحدة ساحات المقاومة وشيطنة المقاومين أنفسهم في المسلسل.

أخيراً، استطاع انتصار المقاومة في «ياس جنين» هدم تلك البروباغندا الصهيونية، إذ كانت التغطية الحقيقية للمعركة على الشاشات وعلى مواقع التواصل الاجتماعي النقيض الواقعي للخيال الصهيوني.

جنين
حكاية المستقبل

محمد بكري

مطر عدوان

سجل الفنان الفلسطيني محمد بكري حكاية مخيم جنين بفيلم وثائقي حمل اسم «جنين جنين». لم ينتظر مرور وقت على الحدث، حمل كاميرته، وذهب إلى المخيم. الحكاية ساخنة، فكانت أصوات أهالي المخيم مليئة بالقدرة على الاستمرار والبقاء، لكن صوتاً واحداً لم نسمعه في الفيلم، ربما كان هو الأعلى.

يبدأ الفيلم بشاب أبكم، وينتهي بسخرية حادة من العالم والعرب والأمم المتحدة، بسخرية من كل شيء، رجل يتكلم عبر «شحاطة» مع الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان، يختصر واقعاً بحديثه وسخريته، وضحكات الحضور في السوق. مثل هذا الرجل، الشاب الأبكم الذي شرح عن المعركة، كأن به كل من تفرج ويتفرج حتى اليوم على ما يحصل في فلسطين، ويظل «أبكم»، فقط يشير. إلا أن ابن المخيم في «جنين جنين» لم يهرب من المخيم، ظل فيه، شاهد ووصف في الفيلم، تكلم بلغته، فعاتب العالم، وقال له أنت كاذب.

«هدوه صحيح هدوه، راح نرد نبنيه من جديد، ومش رح نهتم بيهم، وراح يبنى على أساس المقاومة، وراح شارون طول حياته يحسب حساب لمخيم جنين» هذا ما قالته طفلة في الفيلم، وهي تقف فوق ركام المخيم. هذه الفتاة التي ربما هي اليوم في الثلاثينيات من عمرها، كانت ترى وتعرف أكثر مما تعرف إسرائيل نفسها، كانت تعرف ما في المخيم من طاقة لا يمكن أن تفرغها الدبابات والطائرات الحربية. ولا يمكن لهذه الطاقة إلا أن تتحول «في نهاية الأمر، بدي أقول هالكلمة، احنا هون تا تقوم القيامة، هون تا تقوم القيامة» كما قال طبيب في المخيم عاش أجواء المعركة.

ذاك التحدي الذي سجله محمد بكري في فيلمه الذي أهداه إلى الشهيد إياد السمودي، منتج الفيلم، الذي قضى بعد تصوير الفيلم. نراه اليوم في المكان ذاته، مخيم جنين الذي لم يتوقف عن إنتاج البطولة والانتصار. لقد كان من حظ مخيم جنين، أن جاء إليه محمد بكري بكاميرا فلسطينية العين، منطلقة من تاريخ الأرض وسكان المخيم الذين لا تفصل بعضهم عن قراهم الأصلية سوى رمية حجر. هذا الحجر الذي كان منازل في المخيم. بات في أيدي الأطفال والمراهقين انطلاقة جديدة نحو مقاومة مستمرة نراها اليوم. ومن حظ المخيم اليوم أن جيشاً جديداً بدأنا نتلمس آثاره في توثيق الحكاية، جيش سلاحه كاميرات احترافية، تلتقط الحدث بتفاصيله الدقيقة، تلك الأعين فلسطينية، تلتزم مهنيتها الصحافية، تعرف القصة من أولها، لذا فالإصبع الذي يضغط على «زر» الكاميرا لإيقاف الزمن في لحظة ما، يوجهه عقل يعرف معنى الصورة ودقة مهمتها في خلق أسئلة لدى من لا يعرفون حكاية فلسطين، ولا يعرفون لماذا بعض الناس في مكان اسمه فلسطين يقاتلون «دولة إسرائيل». فثمة لقطة انتشرت بكثافة على وسائل التواصل الاجتماعي ونشرتها بعض الصحف، بعد انتهاء المعركة الأخيرة في مخيم جنين، عند بوابة المخيم، اللقطة تبدو كأن الحضور فيها في وضع مقدس، ينظرون نحو البوابة وجميعهم يرفعون شارة النصر، نرى ظهورهم، ونرى ما تنظر إليه عيونهم «العودة» الكلمة الموجودة عند بوابة المخيم، هي اختصار لحكاية هؤلاء. تلك اللقطة للمصور الفلسطيني وهاج بني مفلح، وهناك لقطات أخرى لمصورين بارعين، يصورون لوكالات عالمية، يساهمون من حيث الحقيقة مهمة، ينقل جانب رئيسي من المشهد، وهو حكاية الفلسطيني الذي يقاتل جيشاً يحتل أرضهم، منذ أجدادهم في العصابات الصهيونية حتى شبابهم وآبائهم في ما أمست إليه تلك العصابات، وصار اسمه «جيش الدفاع».

بالعودة إلى فيلم "جنين جنين" الذي دفع إسرائيل إلى منعه، وملاحقة مخرجه منذ أكثر من عشرين عاماً حتى اليوم، نحتاج إلى أن نتوقف أمام فكرة التقاط اللحظة لتوثيقها بإبداع، فإن هذا يساعد على حمل الصورة والفكرة إلى أماكن أخرى من العالم، لتنتقل الرواية إلى الوعي الإنساني الذي شوّهته الصهيونية في العالم، والذي عملت طويلاً على قلب حقيقته لمصلحتها غالباً، وقد زاد هذا السخف بلّة، بعدما توقفت مؤسساتنا الفلسطينية عن توثيق حالنا توثيقاً تسجيلياً يحفظ الحدث وشهادات الناس عليه، وانطباعات الآخرين عنه. وبالعودة أيضاً إلى سبعينيات القرن الماضي على سبيل المثال، سنجدنا أمام كم هائل من التوثيق لكل حدث فلسطيني أو عربي مرتبط بالصراع مع إسرائيل، فلم يكن الأمر مجرد توثيق، واهتمام بحفظ الذاكرة، بل كان مهماً لمركز الأبحاث مثلاً، الذي كان يدرس تلك الأمور التي تقولها الناس، فيفهم من خلالها الواقع أكثر، ويبني على أساس هذا الفهم رأياً وتوجهاً. إن ما يحدث اليوم يجعل التوثيق مقتصراً على الصحافة التي تنقل الحدث، فتغفل تفاصيل وتبرز أخرى. ومع أنها تفيد في التوثيق، إلا أنها لا تسجل إلا القليل، وهذا القليل، على أهميته، إلا أنه لا يترك مجالاً للمتابعين إلا للبحث أكثر عن المعلومات، ولا يترك للأجيال القادمة ما يمكن الاستناد إليه. ولا يترك لنا أدوات المحاججة أمام العالم لوصف ما يحصل. إن ما فعله محمد بكري في فيلمه «جنين جنين» كبير جداً ومؤثر جداً، ولولا ذلك لما كانت إسرائيل النووية منزعجة منذ أكثر من عقدين من شريط لا تتجاوز مدته الساعة. نحتاج اليوم إلى مؤسسة فنية ثورية، تلتقط كل لحظة فلسطينية وعربية مرتبطة بالصراع المستمر مع إسرائيل، لتوثقها وتنتجها فنياً وإبداعياً، وتضعها أمام العالم ليخرس في دعمه لإسرائيل، ولتضعها الأجيال القادمة أمام البشرية، لترى كم أن إسرائيل عكس ما ادّعت في «تاريخها» أنها حمامة سلام، بل إنها مجرمة «تعدم الأنبيا» حسب ما قال طبيب المخيم في الفيلم، لقوات الاحتلال.

الأخبار
al-akhbar
السبت 19 آب 2023 العدد 4988

سياحة داخلية

تاريخ طرابلس يمرّ في «خان الخيّاطين»

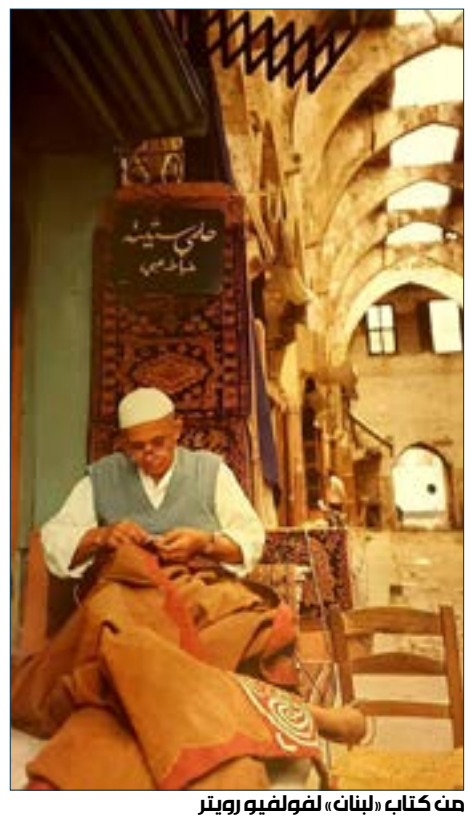
من كتاب «لبنان» لفولفيو رويتر

هشام كشلي

أوّل ما يتبادر إلى الأذهان عند ذكر طرابلس هي الآفات المستفحلة على الأصعدة كافة في المدينة الشمالية. الإهمال المستمر منذ عقود الذي تفاقم مع الأزمة الاقتصادية الأخيرة، غيّب الإرث الثقافي والاجتماعي الغني للمدينة التي كانت تتمتّع بمكانة كبيرة في زمن مضى وتحتوي على كنوز دفينة يجهلها كثيرون. منذ نشأتها، اهتمّ أمراء طرابلس وحكّامها بثلاثة جوانب أساسية، هي: الاستراتيجي العسكري، الاقتصادي، والروحي. هكذا، شيّدوا منشآت ذات طابع معماري مميّزة مرتبطة بها، كما حصل مع تحسين دفاعات قلعة المدينة أو بناء المساجد أو توسيع السوق القديم.

يعكس سوق طرابلس القديم الوجه الحقيقي لـ «أم الفقير» بكل تفاصيلها. فهو نواة المدينة والمكان الذي تعتاش منه وتقطنه أسر طرابلسية كثيرة. يعكس السوق بأزقته ودهاليزه حقبات ازدهار وانحسار طرابلس. فكل من حكمها في مختلف الحقبات، كان لا بد له من أن يضع بصمته المعمارية فيها للدلالة على أنّه «مرّ من هنا».

على الرغم من ملازمة الخياطة لطرابلس منذ القدم، إلّا أنّ إنشاء خان مخصص لهذه الحرفة يظهر الاهتمام الكبير بها. تاريخياً، لا وثيقة تحدّد تاريخ بناء «خان الخياطين» وهوية مؤسّسه، وفق ما يؤكّد المؤرّخ عمر تدمري في كتابه «تاريخ طرابلس الحضاري والسياسي». لكن الروايات المتداولة ترجّح أنّ يكون قد شيّد سنة 1341 على يد الأمير بدر الدين في العهد المملوكي. وتفيد بأنّ المماليك كانوا يسعون إلى تحويل الخياطة من موهبة إلى مهنة وتجارة، وخصوصاً بعد عثورهم على أكثر من 4 آلاف نول حياكة باقية من عهد الصليبيين. عمدوا إلى إيجاد مكان مناسب ليمارس الخياطون مهنتهم باحتراف، في إطار سعيهم إلى الحفاظ على حرفة الخياطة التي تشتهر بها طرابلس. هكذا، وُلد «خان الخيّاطين» الذي يشكّل شارعاً كاملاً من منطقة باب الحديد (تبلغ مساحته حوالى 1200 متر مربّع)، ويتكوّن أعلاه من سلسلة متناسقة من القناطر التي تجمع جهتيه اليمنى واليسرى، يفصل بينهما ممرّ عريض، وهو من طبقتين. كما أنّه يتميّز بأنّه مقفل ومسقوف. علماً أنّ الخانات قديماً كانت تُعرف باحتوائها على نزل للمسافرين في الطبقة العلوية تمكّنهم من الاستراحة من أعباء السفر، في الوقت الذي كانت فيه الطبقة السفلية تعجّ بالأسواق.

ازدهر «خان الخيّاطين» في العهد العثماني، وخصوصاً في القرن التاسع عشر، حيث كان عامل جذب للزبائن القادمين عبر البحر من المدن الأوروبية، فأصبح منصة لتصدير الأقمشة القادمة من حمص وحماه وحلب، كما استخدم لتصنيع الحرير الذي أضحت تجارته تشكل جزءاً كبيراً من اقتصاد متصرفية جبل لبنان. أصبح المزارعون القرويون في جبل لبنان يقصدونه بعد استخراج الحرير ليخيطونه حسب الطلب أو بالأشكال التي تعبّر عن أزياء المنطقة في مختلف الحقبات، تمهيداً لبيعه لاحقاً في أسواق الخان.

في تلك الفترة، كان الخان الذي عُرف أيضاً باسم «خان الحرير»، يعدّ من أهم نقاط خط التجارة العالمية، نظراً إلى جودة بضائعه والطلب الكبير على الحرير الجبلي اللبناني ومنتجاته، فضلاً عن قربه من البحر. فكان من الطبيعي أن يكون محصّناً يصعب الدخول إليه، وأن تكون المنتجات غالية الثمن في مكان بعيد عن متناول الزوّار.

أرخى تغيّر طرق صناعة الألبسة بظلاله على الخان، إذ احتلت الألبسة الجاهزة أسواقه في وقت لاحق، بسبب سهولة صنعها وانخفاض كلفتها. ومع سنين الحرب اللبنانية، تحوّل «خان الخيّاطين»، في ظلّ الإهمال الكبير، من نقطة حيوية ومهمّة إلى مجرّد جزء بسيط من سوق طرابلس القديم، يختصّ اليوم ببيع الأزياء الفولكلورية المتمثّلة في الطربوش، العباءة الرجالية، القفطان الرجالي، الشروال، القنباز والثوب النسائي المطرّز. ولا يقتصر شراء هذه القطع على السيّاح فقط، بل تسعى الفرق الفنية إلى شرائها.

مع تبدّل وظيفة الخان من تجاري إلى سياحي ينشط بشكل خجول في المواسم، بات أكثر انفتاحاً على الزوّار تزامناً مع سهولة عرض البضائع بطريقة جذّابة، وخصوصاً مع عملية الترميم التي خضع لها عام 1992 بتمويل ألماني وطالتها انتقادات واسعة. ناهيك بأنّها استغرقت وقتاً طويلاً، جاءت نتيجتها غير منسجمة مع السياق التاريخي والثقافي للمكان، وأسهمت في ترسيخ الطابع التجاري - السياحي فقط.

اليوم، أضحى «خان الخيّاطين»، ككلّ خانات السوق القديم، كنزاً لا يمكن للمارّين فيه تصوّر أهميّته التاريخية والمراحل البارزة التي شهد عليها. إذ أصبح أشبه بأي من أقسام سوق طرابلس، أو أي سوق حديث كـ «الأحد» أو «صبرا». أما المساحات التي كانت غرف إقامة للمسافرين، فأمست مستودعات يستأجرها سكان المدينة والتجّار.

«خان الخيّاطين» صورة مصغّرة عن حجم الإهمال المنهج الذي يطال «الفيحاء» وأبناءها، منذ قيام الجمهورية اللبنانية. لكن قد يكون لذلك جانب إيجابي يتمثّل في حماية المدينة من الانسلاخ عن هويتها، ومنع استبدال معالمها التراثية بموقف سيّارات ربّما أو مركز تجاري كبير أشبه بمدينة أشباح على الطريقة البيروتية.

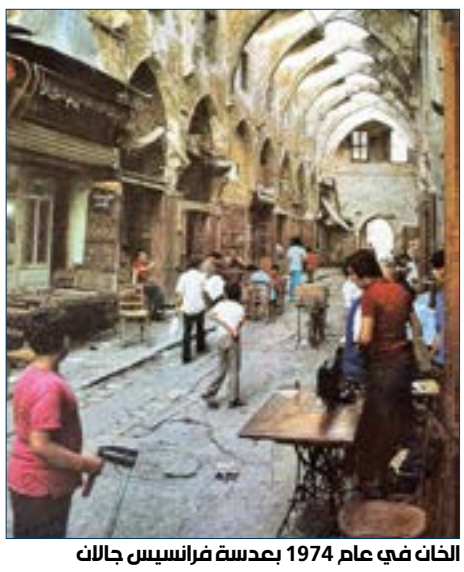
الخان في عام 1974 بعدسة فرانسيس جالان

لقطة حديثة بعدسة جمال ساعاتي

لا يتضرر الجلد وحده من حرارة الطقس المرتفعة، بل أحوال العيش تتعطّل أيضاً. يمكنك أن تداوي الحِرف بالمرهم لكن لا دواء يشفي من الكسل والبلادة. موجات اللهيب الحارق تهبّ علينا منذ زمنٍ ليس بطويل، تلد سماء حمراء قانية تحجب كل إشراقة، فيما جفاف سقيم يخيم فوق رؤوسنا. بالإضافة إلى الرطوبة العالية التي تنخر الرأس، ثمة يباس مستشري يطاول كل أشكال الخلق والإبداع جاعلاً من الفنون أشبه بواحة ماء، مجهولة المكان، في صحراء قاحلة. في ظل هذا التصحّر الآيل إلى تذويب كل لون وتغييب كل مجاز، على أحدنا التمسّك باللون والمجاز.

في هذا العدد من إنّما، نتفحّص عن كثب اللّون والمجاز. هو قراءة بنبرةٍ عالية عن تجارب وأساليب باتت مهددة بالاضمحلال بسبب عدم قدرتها على التأقلم مع الحرارة الشديدة التي من شأنها تقويض كل ما يخرج عن الاجترار، والرتابة، والأفعال الممجوجة.

بول مخلوف

فهرس

- **على الغلاف**
  تفحص عن كثب | بول مخلوف
- **تفكيك**
  الإيبيكراما: النقش بالكلمات | ياسمين الترك
  تعقيب على الفن المعاصر | عبد الحليم حمود
  هيلين وأساطير عن الجمال | محمد عصام الدين
- **تدوين**
  سرحان | محمد حويلي
- **بيوغرافيا**
  جان ميشال باسكيا: الطفل المشاغب
  ورسام حتى النخاع | هناء عبد الخالق
- **حكاية عين**
  المهزلة الأبدية (جزء الثاني) |
  هاشم رسلان

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 19 آب 2023
العدد 4988 السنة الثامنة عشرة
Samedi 19 Août 2023 nº 4988 18ème année

كلمات
ملحق أسبوعي
www.al-akhbar.com

إلينا بونياتوسكا
حطّمت مرايا الجدّات

خليل صويلح

أن تكون في التسعين وتُتوج بجائزة تحمل اسم كارلوس فوينتوس للأدب، أحد أرفع الجوائز الأدبية في اللغة الإسبانية، هذا ما يحصل نادراً. لكن الكاتبة المكسيكية إيلينا بونياتوسكا (1933) فعلتها أخيراً بفارق عشر سنوات على تتويجها بـ «جائزة سرفانتس للأدب». تمتاز روايات وقصص هذه الكاتبة المخضرمة بقدرتها على التحليق بالوثيقة إلى أعلى درجات السرد التخييلي بوصفها شاهدةً على وقائع تاريخية خلخلت استقرار البلاد، وكاد أن يطويها النسيان، مثل مذبحة الطلاب عام 1968، وزلزال مدينة مكسيكو سيتي عام 1985، والنزاع المسلّح للسكان الأصليين، من خلال استثمار عملها في الصحافة الاستقصائية، ونبش ما هو مهمل عمداً، ووضعه تحت ضوء كشّاف بوصفه فضيحةً لا ينبغي السكوت عنها. أمر جعلها بين أكثر الكتّاب المكسيكيين شعبيةً لاعتنائها بأحوال المهمّشين والمقموعين والمنبوذين، على رغم انتسابها لطبقة أرستقراطية تاريخياً. تعدّد هوياتها (ولادتها في باريس، وهجرتها إلى المكسيك، ودراستها في أميركا)، منح سردها هجنةً أدبيةً تنطوي على معرفة عميقة بمعنى الهجرة والاندماج وتنوع الإثنيات، متطلعة إلى الغد على الدوام. إذ لطالما سعت في رواياتها مثل «زهرة ليس» (زهرة النور) إلى محو طيف جدّاتها في مرايا البيت، بتحطيمها، في دلالة على طي صفحة الأمس بأحزانها وأوجاعها وإشكالياتها.

هذا التأريخ لسيرتها كمهاجرة، لن يتكرّر في أعمالها الأخرى بالعاطفة نفسها، لإيمانها بأن حياة الآخرين المعجونة بالشقاء والبؤس أكثر أهميةً من تطلعاتها الروحانية. على المقلب الآخر، يصعب إحصاء عناوين كتب إلينا بونياتوسكا لفرط غزارتها وتنوّع مناخاتها، لكننا لن نجد في مكتبة لغة الضاد كتاباً واحداً من مؤلفاتها، عدا ترجمة قصص قصيرة متفرقة لها، بالإضافة إلى بحث أكاديمي عن روايتي «حتى رؤية المسيح» (1969)، و«ليلة ميدان تلاتيلولكو» (1971)، فيما ستبقى أعمال مثل «حتى لا أراك»، و«جرح باولينا»، و«قوّة الصّمت»، و«القطار يمرّ أوّلاً» خارج قوائم الترجمة إلى العربية. لكن مهلاً، هناك التفاتة جانبية لسيرة مواطنتها الرسّامة فريدا كالو، وقصة حبها لدييغو ريفيرا ومكابداتها المضنية جسداً وروحاً «هذه المرأة المثقلة بأزهار القرنفل، والخواتم الذهبية فارقت الحياة في 14 تموز (يوليو) 1954 وعادت إلى الثرى وتلاشت معها ألوانها، وذبلت أزهارها، وامّحى احمرار أظفارها، وخبا بريق عينيها، وحاجبها الوحيد الممتدّ على جبهتها كجناح غراب، شاربها الخفيف، شعرها، دموعها الحرّى السّاخنة، عظامها المكسورة، عكّازها، سجائرها، قيثارتها، ريشتها، مرآتها، الملصقة في سقف حجرتها، هذه المرأة التي ترون قد لا تكون فريدا الحقيقية، بل ربما كانت فريدا المعكوسة في المرآة». ثم ننصت إلى اعترافات فريدا نفسها كراوية لسيرتها في تناوب سردي لافت «أنظر إلى عينيّ لقد أضناهما السّهاد، إنني أكاد لا أنام، بل إنّني لم أعد أتذوّق طعمَ الكرى أبداً، إنّي أقضي الليالي وأنا في حالة قلق مستديم، أستقبل إشارات لا يشعر بها الآخرون، أنظر إلى أناملي المثقلة بالخواتم، أقبّل هذه الأنامل لأنّها وحدها لم تخدعني، تنفّذ ما يأمرها به عقلي ووجداني في حين خانني جسمي كله، إنني حبيسة هذا الجسم اللعين منذ سنوات، هذه الأنامل هي التي ضفرت شعري الطويل الفاحم، وزرعتْ فيه الزّهور».

حوار

محمد الشماع: تاريخ مصر كتَبَه المستعمِر وسار خلفه المؤرخون

«التاريخ الحقيقي لم يُكتب ولن يُكتب» هذه الجملة كتبها الخديوي عباس حلمي الثاني في مذكراته «عهدي» التي تناولت الفترة التي حكم فيها مصر بين عامَي 1892 و1914، كتعبير عن التزييف الذي يحدث دائماً عند كتابة التاريخ، وخصوصاً الرسمي منه. الجملة ذاتها التي استعان بها الصحافي والكاتب المصري محمد الشماع في كتابه «الشوارع الخلفية... عن المهمل والمسموم في تاريخ مصر ــ 1882 ـ 1852» (دار المصري ــ 2023)، للتدليل على ان التاريخ الرسمي ليس سوى وجهة النظر الرسمية للاحداث، زاوية مليئة بالاكاذيب والاختلاق والتدليس المتعمّد.

يعتبر الشماع ان اول معتمد بريطاني في مصر اللورد كرومر، كان احد اهم واكثر المدلّسين والكذابين الذين كتبوا عن التاريخ المصري. في «الشوارع الخلفية»، يرصد الشماع دور كرومر وتاثيره في كتابة التاريخ المصري عن الفترة الممتدة من ثورة عرابي وبداية الاحتلال البريطاني وصولاً إلى ثورة يوليو (1882- 1952)، ملاحظاً انّ الغرب في الامر هو انحياز غالبية السياسيين وكتّاب التاريخ لوجهة نظر المستعمِر نفسها، من دون ان يلتفتوا إلى كذبه وادعاءاته وتمجيد نفسه في مقابل احتقار الشعب المصري. لكن الشماع يرى ايضاً انه في مواجهة هذا التاريخ الرسمي الذي يتناول بشكل اساسي ما يحدث في الشوارع الرئيسية، هناك تاريخ آخر مواز يحدث في الشوارع الخلفية ويتم إهماله دائماً عن قصد.

يضع الشماع في مشروعه عن التاريخ الموازي، نموذج الكاتب الصحافي الراحل صلاح عيسى (1939 - 2017)، محترماً منجزه الذي تناول الحياة الاجتماعية في مصر، آملاً في يوم من الايام ان يكتب ويحقق عملاً مثل «رجال ريا وسكينة» الذي كتبه عيسى، واعادت «دار الكرمة» نشره منذ فترة. وانطلاقاً من شغف الشماع بمنتج صلاح عيسى، كتب عنه كتاب «حكايات من دفتر صلاح عيسى» (مؤسسة شمس للنشر والإعلام ــ 2020)، وصدر له عن المؤسسة نفسها كتاباً «أيام الحرية» (2011) و«الشعب يبدي رأيه في كل ما حدث» (2018)، فيما نشر «السرايا الصفرا... رحلة في مذكرات مدير مستشفى المجاذيب (1916- 1953)» عن «دار المصري للنشر والتوزيع» (2022)، وكتاب «المتمرد... سيرة حياة عمر خيرت» (2022) عن «دار نهضة مصر». وحديثاً كتاب «الشوارع الخلفية» (2023). التقينا محمد الشماع في القاهرة وحاورناه عما دار في شوارع مصر الخلفية في حقبة مهمّة ومفصليّة من تاريخها الحديث.

تقديم وحوار **محمد علي**

■ بداية لماذا اخترت الفترة الممتدة ما بين عامَي 1882 و1952؟

ـ هذه الفترة تحديداً شهدت تزويراً هائلاً للكثير من الأحداث التاريخية، وهي الفترة أيضاً التي بدا ينسّاب هذا التاريخ المزوّر أو المسموم إلى التاريخ الرسمي بطريقة سهلة بسيرة طالما استغربت منها. هي الفترة التي بدأ المؤرخون المصريون ـ للأسف ـ يعتمدون فيها على كتابات المستعمر الذي بسط نفوذه على البلاد كمصادر لا تخضع للنقاش أو للنقد، ومن تلك الكتابات كتاب «مصر الحديثة» للورد كرومر الذي أعتبره أبا التاريخ المسموم في مصر، فضلاً عن ذلك، فإنّ تلك الفترة تحتوي على مناطق مجهولة بشكل كبير في التاريخ إما مُحيت أحداثها عن قصد، أو أنها أهملت انتصاراً لأيديولوجيات معينة أو لطوائف سياسية ودينية معينة. والأهم أن تلك الفترة أيضاً شهدت ازدهاراً للصحف، التي أعتبرها أحد أهم مصادر التاريخ.

> **الشعب يصنع أسطورته التي يردّ بها على المستعمر وما يراه من تضخيم لاشخاص يعلم انهم ليسوا ابطاله الحقيقيين**

■ اعتمدت في كتابك على مذكرات كرومر والخديوي عباس والبارون كوسيل... لماذا هؤلاء بالتحديد؟

ـ كل واحد منهم يمثل تياراً تاريخياً مختلفاً، كرومر الذي يمثل الاستعمار، فهو من جاء إلى مصر بعد الثورة العرابية مباشرة وغادرها بعد حادثة دنشواي الشهيرة، وأنجز بعدها كتابه الذي ذكرته «مصر الحديثة»، وهو كتاب يحتوي على شقين، شق معلوماتي، فبحكم منصبه كمعتمد بريطاني وحاكم فعلي للبلاد، أورد الكثير من المعلومات المهمة التي جاءت في السجلات والتقارير الرسمية، واتفقنا أو اختلفنا مع كرومر لكن هذا جزء مهم ومفيد لأي باحث. أما الشق الآخر في الكتاب، فهو يعبّر عن وجهة نظره، أو وجهة نظر الاحتلال بشكل عام، وهنا نرى بوضوح كيف كان هذا الرجل ينظر إلى مصر ونخبتها وشعبها. لذلك اعتبر أن هذا الكتاب من أكثر الكتب التي تحمل زيفاً وزوراً وتشويهاً لكل ما هو مصري أو مقاوم للاستعمار، وأذكر هنا موقفه من الثورة العرابية التي خاض فيها تشويهاً وإهانة لقائدها وكل المشاركين فيها بشكل فج. أما مذكرات «عهدي» للخديوي عباس حلمي الثاني، فتمثل تيار السلطة المصرية، واعتقد أن هذا الخديوي هو الوحيد الذي كتب مذكراته بنفسه في منفاه، وارى أنه واحد من مظاليم التاريخ. فعندما تقرأ ما كتبه كرومر نفسه عن أحد أسباب رحيل عباس حلمي، نجده يقول إنّه «كان مصرياً أكثر من اللازم». أما البارون كوسيل، الذي كتب مجلداً ضخماً اسمه «ربع قرن في مصر»، فيمثل تياراً آخر من النخبة المستعمرة التي عاشت في مصر، فالرجل عاش نحو 25 عاماً، لكنه في النهاية أنجز كتاباً يحتوي على مشاهدات عادية، وكأنه «شاهد مشافش حاجة». كتاب البارون كوسيل نموذج لكتابات من يكتب التاريخ وهو لا يعرف التاريخ أصلاً. عندما تقرأ كتابه الكبير لن تحصل منه على معلومة، وبعد أن تنتهي من كتابه، ستجد نفسك أمام وصف بسيط لافتتاح قناة السويس لكنه في النهاية لم يقدم وجبة تاريخية.

■ بشكل عام، كيف تتعامل مع المذكرات وأنت تعلم أنّها تحتوي على أكاذيب؟

ـ أنا أتعامل دائماً بحذر شديد مع المذكرات، وخصوصاً في هذه الحقبة من تاريخ مصر. أتعامل بنظرة انتقادية وأفرّق بين المعلومة التي قد أستخدمها في ما أكتب، وبين وجهة النظر التي أنتقدها وأحاول أن أصحّحها بما لدي من مصادر أخرى، فكرومر مثلاً وضع في كتابه معلومات واستخدم بعضها لتدعيم وجهة نظره، لكن ما يحزنني حقاً هو أن وجهة نظر الرجل انتقلت إلى بعض المؤرخين المصريين.

■ لماذا ركّزت بشكل أساسي في كتابك على ثورة عرابي للتدليل على التاريخ المصري المسموم؟

ـ لأنها مثال واضح على السير وراء حتى المصطلحات التي اخترعها المحتل، فالكتابات التي تناولت هذه الفترة وصفت حركة أحمد عرابي بـ«الهوجة»، وهو لفظ معبّر جداً عما وصفه كرومر نفسه في مذكراته عن تلك الثورة، إذ كان يهاجمها باعتبارها فوضى، وبأن أحمد عرابي ذاته لم يكن سياسياً ولا يستحق التعاطف. نظرة لا تنفصل عن نظرة المستعمر لنا بشكل عام.

■ كيف كان ينظر المستعمر إلى مصر في هذه الفترة؟

ـ كان ينظر لنا بأننا شعوب غير متحضرة لا تستحق أن تحكم نفسها بنفسها، وهوس الصحافة الأجنبية الشديد بقضية ريا وسكينة باعتبارها أعمال عنف غير إنسانية وغير متحضرة كان بقصد الإساءة للشارع المصري. وقد حدث ذلك أثناء مفاوضات الاستقلال، فكأنهم أرادوا أن يقولوا انظروا هذا الشعب هو الذي يريد أن يحكم نفسه وشارعه مليء بالجرائم. لذا كان قرار المحكمة بإعدام الشقيقتين، إضافة إلى مجموعة القتلة الآخرين، رغم أنهما لم تشتركا في القتل، وبالتالي فإنّ كان ممكناً تخفيف العقوبة عن الإعدام، لأنها لم تكن عقوبة الفاعل الأصلي. وغير قضية ريا وسكينة، هناك قضايا أخرى ذكرها توماس راسل في كتابه «مذكرات حكمدار

محمد الشماع: اعتبر اللورد كرومر أبا التاريخ المسموم في مصر

القاهرة».

■ في كتابك قسم خاص عن الصحف الدينية، لماذا اعتبرتها أحد روافد التاريخ المسموم؟

ـ ركزت في الكتاب على الصحف ذات الأيديولوجيا الدينية، وكان من الطبيعي أن تخدم هذه الصحف مصالح الطائفة التي تنتمي إليها، فالصحافة الدينية (الإسلامية والمسيحية واليهودية) كما هو واضح في الكتاب تخدم مصالحها ومصالح أبناء طائفتها، إما بتمجيد النفس أو بمهاجمة الآخرين وتصفية الحسابات معهم، إذ كان يُستخدم بعضها لأهداف سياسية معينة. وهو تقريباً نفس ما فعله اللورد كرومر الذي استخدم مذكراته أو التاريخ عموماً في تمجيد الاستعمار والدعوة إلى طرح أن النخبة المصرية لا تصلح لحكم مصر. لذا اعتبر الصحف الدينية ومذكرات كرومر وجهان لعملة واحدة.

■ كيف رأيت الصحف اليهودية في هذه الفترة؟

ـ الصحافة الصهيونية عملت في البداية كصحافة متخصصة في الفنون والآداب وغيرهما، لكن بعد فترة أصبحوا يوقاً دعائياً للحركة الصهيونية التي كانت تنشأ في العالم، وخصوصاً أنّ مصر كانت تحوي جالية يهودية كبيرة، إضافة إلى قربها الشديد من فلسطين، وهنا رؤوس أموال كبيرة وجمعيات أسّست للترويج للصهيونية. وكانوا يعتبرون أن مصر أرض ممهّدة جداً لهذا الفعل. وهناك خطابات بالفعل بين تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة، والطبيب اليهودي البرت موصيري الذي أسّس في أوائل عام 1920 صحيفة «إسرائيل»، بلغات ثلاثة: عربية وعبرية وفرنسية، كما أجرى موصيري حواراً صحافياً مع هرتزل. هذه الصحيفة سبقتها صحيفة أخرى أسموها «الرسول الصهيوني»، وكانت أول صحيفة تحمل اسم «صهيون» ناطقة بالفرنسية إلى جانب غيرها من الصحف التي تبنّت وجهة النظر الصهيونية في إقامة الكيان الصهيوني في الأراضي الفلسطينية. وكان عدد كبير من الصحف اليهودية في تلك الفترة تصدر باللغة الفرنسية أولاً لأنّ غالبية الشعب المصري يجهل هذه اللغة بينما كانت هي اللغة المستعملة في دوائر المال والأعمال، ولغة التدريس السائدة في المدارس اليهودية والمدارس التي يعلّم اليهود أبناءهم فيها كـ «الفرير» ومدارس الراهبات، وأيضاً لأن الجالية الأجنبية في مصر تتحدث الفرنسية، وهم في النهاية يريدون نشر أفكارهم، وحشد رأي عام أجنبي لفكرتهم.

■ سيرة «الفتوات» أهملها التاريخ الرسمي، لكنك تناولتها في «الشوارع الخلفية»... فلماذا أُهملت ولماذا كان اهتمامك بها؟

ـ هناك صورة نمطية عن الفتوات في هذه الفترة، مأخوذة عن روايات نجيب محفوظ، لأن محفوظ كان يتناولها في فترة معينة، لكن دور «الفتوات» ذاته طرأ عليه الكثير من التغيرات والتحولات، بفعل تأثير المجتمع عليه، فلدينا مثلاً حجاج الخضري أيام الحملة الفرنسية الذي كان وطنياً خالصاً. ثم بعد ذلك أيام فترة الاستعمار البريطاني، ظهرت مجموعة من الفتوات الذين يحمون المناطق، لكل منطقة فتوة هو حاميها وصاحب الكلمة العليا فيها، ولكن كثيراً منهم ارتبطوا بشكل أو بآخر بالقوى الاستعمارية، فكان لكل فتوة حماية من جهة، سواء كانت حماية إنكليزية أو فرنسية، ولن تستطيع محاكمة هذا الفتوة إذا ارتكب جريمة إلا بعد إذن الجهة التي تحميه. محمود حكيم، فتوة الجمالية مثلاً، ارتكب جرائم قتل ولم تجر محاكمته إلا بعد إذن القنصلية الفرنسية، وتدخّل القنصل الفرنسي بشأنه، وأخرجه ونفاه. وبعد فترة، علم البوليس المصري أن محمود يدير وكراً للمخدرات، لكن البوليس لم يستطع مهاجمة الوكر إلا بعد استصدار إذن من القنصلية كذلك، فانتدبت وكيلها لحضور عملية الضبط، ودارت معركة أصيب فيها وكيل القنصل، وحكم على محمود بالنفي فاختار بيروت، لكنه عاد بعد فترة قصيرة وارتكب جريمة قتل أخرى، فحُكم عليه بالنفي إلى فاس في المغرب، إلى أن مات مريضاً هناك وهكذا. هذا النموذج تحول كذلك إلى نموذج آخر مع بداية إنشاء منطقة الترفيه في الأزبكية التي كانت مكاناً لدور المسارح والكازينوهات، فتحول الفتوة إلى بورجي وبلطجي يحمي الراقصات بأجر، وهكذا.

> **الكتابات التي تناولت تلك الفترة وصفت حركة أحمد عرابي بـ«الهوجة»**

■ وما الفرق بين الفتوة والبورجي؟

ـ الفتوة كان في الحارة الشعبية، وأحد أعمدتها يعمل على حفظ الأمن، ويحصل، في مقابل ذلك، على ما سمّي بالإتاوة وهي عبارة عن مبلغ مالي يدفعه التجار والسكان أحياناً. لكن مع بداية الأربعينيات، بات للشرطة المصرية تواجد قوي في الشارع، وبالتالي تراجع دور الفتوة، وفي الفترة نفسها حدث تطور مهم في المجتمع بظهور منطقة ترفيهية في الأزبكية تحتوي على كازينوهات وملاهٍ، واختلط الرقص بالبغاء فأصبح لكل واحد منها برمجي يحميها مقابل مبلغ مادي. ويربط المؤرخ جمال بدوي بين ظهور الشخص البورمجي ونشأة دور الدعارة الرسمية في مصر. لكن على أي حال، لم يكن الفتوة ولا البورمجي في التاريخ المصري يرمز إلى السلطة ولا إلى البطل المنشود. مجتمع الفتوات مجتمع متطور، وللأسف الشديد هذا التطور لم يرصد بدقة وجدية في التاريخ الرسمي، فتاريخ الحارة الشعبية لا يمكن الحديث عنه من دون الحديث عن الفتوة.

■ في كتابك أيضاً، اعتبرت الرقص الشعبي المصري أحد مظاهر التاريخ المسموم؟

ـ همي الأساسي في الكتاب هو طرح سؤال هو: لماذا سار المصريون خلف المستعمرين في وجهة نظرهم؟ الغريب أن الرقص الشرقي كان دليلاً واضحاً على ذلك، فالرقص الشرقي لم يكن أبداً مثل الرقص الذي نراه الآن ورأيناه في جيل الراقصات الكبيرات. كانت الطريقة مختلفة تماماً، ولم يكن شهوانياً أو لإثارة الغرائز... طيب لماذا اختلف؟ لأن المستعمر رأى أن هذا الفن مثير لغرائزه هو، وبدأ يكتب ويرسم الرقصات بشكل شهواني، وسادت هذه النظرة بعد ذلك وتحول إلى رقص غرائزي تماماً، رغم أنه مختلف تماماً عن الرقص الشرقي الذي ظهر في نهايات القرن الثامن عشر واستمر لبداية القرن العشرين. وقتها كان الرقص الشرقي شبيهاً برقص الفلاحات حالياً. والغريب أن الراقصات أنفسهن سرن خلف وجهة نظر ورؤية المستعمر للرقص!

■ هل يمكن أن نعتبر كتاب «الشوارع الخلفية» جزءاً من كتابة التاريخ الموازي؟

ـ بالضبط، هو التاريخ الموازي؛ فأنا مؤمن بثنائية الشوارع الخلفية والشوارع الرئيسية. في الرئيسية يُكتب التاريخ الرسمي وفي الخلفية يُكتب التاريخ غير الرسمي أو الشعبي، بما يضم من كتابات مسمومة عن النخب والناس، فضلاً عن تاريخ جرى في تلك الشوارع ولم يدوّن في التاريخ الرسمي، وهو تاريخ الناس العاديين أي الشعب بكل فئاته التي ظهرت حينها؛ ومنهم الفتوات. أذكر هنا الفتوة حجاج الخضري أحد قادة ثورة القاهرة الأولى الحقيقيين، فالرجل ذُكر في مواضع بسيطة جداً في التاريخ بينما ذكر التاريخ الرسمي أنّ قادة الثورة هم مجموعة شيوخ الأزهر.

■ ومن أين نحصل على هذا التاريخ الشعبي؟

ـ في الغالب يتم الاعتماد على كتابات أخرى من صحف ومذكرات وتقارير تتناول تلك الفترة التي نريد التاريخ لها. مثلاً هناك كتاب «ساعة عدل واحدة» الذي كتبه أرثر سيسيل البورت وهو طبيب عاش في مصر رصد أحوال المستشفيات في الفترة الممتدة بين عامَي 1937 و 1943. وكذلك هناك مذكرات «حكمدار القاهرة» لتوماس راسل، الذي رصد فيه أحوال الجريمة في مصر، إضافة إلى ذلك الأرشيف الصحافي، باعتبار أنّ الصحافة مصدر مهم للتاريخ. كل هذه المصادر حكت تاريخاً غير رسمي، وهو الجزء الذي أهتم به، فأنا لا أهتم كثيراً بالتاريخ الذي لا يُدرّس في الجامعات والمدارس، أنا أهتم بالتاريخ الاجتماعي بكل عناصره.

■ وبرأيك لماذا تجاهل المؤرخون التاريخ الاجتماعي إلا نادراً؟

ـ يمكن أن يكون السبب التأثر بالتاريخ الغربي، أو أن السلطة، أي سلطة، لا تريد أن يكون ذلك موجوداً في التاريخ، واعتقد أن هذا كان إهمالاً عن عمد. ولذلك عندما يظهر مؤرخ يكتب عن التاريخ الاجتماعي، نجد احتفاءً به مثل صلاح عيسى وكتابه المهم «رجال ريا وسكينة»، وسيد عويس، لكن الحقيقة تقول إننا لم نر المجتمع المصري الحقيقي في فترة 1882 وحتى 1952، نحن قرأنا فقط عمّ يحصل في دوائر الحكم النخبة والقصر والأحزاب وصراعاتها.

■ «الشوارع الخلفية» هو التاريخ الموازي والأمور التي أهملت عن عمد... هل هذا له علاقة بمن يكتب التاريخ؟

بالتأكيد لأن القاعدة تقول إن التاريخ الرسمي يكتبه المنتصر والأقوى، لكن الشعبي يجد له عادة طريقة لحفظه من زاويته. مثلاً أدهم الشرقاوي قاتل وقاطع طريق لكنه شعبياً أصبح أسطورة شعبية، ومثله خُط الصعيد، فهما كانا يرتكبان جرائم سرقة لكن لأنهما كان يسرقان من كامبات الإنكليز، أصبحا أسطورة. الشعب يصنع أسطورته وهو في الحقيقة يردّ بها على المستعمر وما يراه من تضليل أو تضخيم لأشخاص آخرين يعلم تماماً أنهم ليسوا أبطاله الحقيقيين.

فصل من رواية

الرّجاء استبدال الأكاليل*

بيروت عام 1983 ـ أرشيف الصليب الأحمر

مازن حيدر

من الغلاف الخلفي: في يوم شتائي ماطر من عام 1985 غادر كلّ من أمينة وفريد مسكنهما في حي بيضون في بيروت إلى منطقة عين الرمّانة القريبة قاصدَين المعلّم برجيس، خبير أجهزة التسجيل الماهر. وحده برجيس قادر على إنقاذ ذلك الشريط القديم، آخر ما تبقّى لهما من بيت الجبل بعد التهجير. لو كانت أمينة على علم بما ستُصادفه مع زوجها من أحداث غريبة في بناية المصلّح يومذاك، لامتنعت حتماً عن خوض غمار هذا المشوار. ولو لم يكن فريد مُتشبثاً بالحفاظ على أصوات من فُقد من الأقارب والجيران في حمّى القتل والمذابح، لما صبر على ظلمة الدّرج المُخيفة. ظلمة دامسة تمحو وجوه اليوم ومن خلالها تنكشف أطياف من اختفى أثره قبل سنوات، حياً كان أو ميتاً، أدمياً أو عفريتاً.

خيار 1:

لمح فريد علامات جافّة تتشكّل على وجه أمينة كأنّها تتلقّف ببرودةٍ ما تواطأ معه على إعطائه من تفسير حول الشريط. رنت إليه، أومأت بصمتها صوب الصورة المعلّقة على الحائط قبالتهما. صورة متوسّطة الحجم بالأبيض والأسود مؤطرة بالعدن الفضيّ المُزخرف. سيّدة في الثلاثين من عمرها. عينان فاتحتا اللون تبرزان من تحت الزجاج بالزغم من الضوء الخفيف. زرقاوان. أو خضراوان ربّما كعينيّ المصلّح.

شردت أمينة في نظرة تملأ المرآة الشاحبة تُجالسهم في هذا الصّباح الصامت. صامتٌ إلا من المطر الغزير في الخارج ورنين أدوات برجيس تكسرُ السكينة كلّما ألقى بها على الطّاولة أمامه.

لو لم يعد نور الكهرباء للانقطاع في هذه اللحظة، لتجرّأت أمينة واستفسرت عن صاحبة الصورة، أو كانت تعمّدت مثلاً أن تتأكّد من هويتها بسؤال غير مباشر. فتقول للمصلّح تحبباً أنّه شبيه بوالدته حفظها الله له. انقطع التيّار، فلاذت بالصمت. وعوضاً من أن ينفعل برجيس مثل فريد الذي عاد ليقف مُتأهباً مُتبرّماً، حافظ على هدوئه واكتفى بتوجيه يديه صوب لهيب مدفأة الغاز مُواصلاً تمليس السلك بحركة رتيبة مُتباطئة.

-هذا السلك فيه شقوقٌ، ما سأفعله هو تنظيفه وإعادة تجليس أطرافه ليركب حول دائرتي الشريط. من يعلم إذا سيبقى صالحاً لنسخه من جديد. هي مُغامرة، نكتشف ذلك بعد قليل.

صمت الزوجان أمام شرح المصلّح كأنّه الطبيب خارجاً من عملية قد تستغرقُ مدّة لم يُحسب لها حساب.

-خمس وعشرون ليرة.

قالها حاسماً ببرودة تعدّت منطقه الجاف في التعاطي. ثم همهم:

-الدولار تعدّى السبع عشرة ليرة.

لا يعرف العطف طريقاً إلى قلب هذا الرّجل قالت أمينة. سيرضخ فريد لاقتراحه، ويياس إليه، أومأت بصمتها صوب الصورة المعلّقة على الحائط قبالتهما. صورة متوسّطة الحجم بالأبيض والأسود مؤطرة بالعدن الفضيّ المُزخرف. سيّدة في الثلاثين من عمرها. عينان فاتحتا اللون تبرزان من تحت الزجاج بالزغم من الضوء الخفيف. زرقاوان. أو خضراوان ربّما كعينيّ المصلّح.

شردت أمينة في نظرة تملأ المرآة الشاحبة دوي الرّعد، فشخص الثلاثة نحو الشق الأفقي في أعلى باب الشرفة، مصدر النور الخارجي الوحيد. علا صوت الطبول. أصغت أمينة إلى قرعها، قرعةً بعد قرعة، ضربة بعد ضربة. كأنّها الدبكة. دبكة أولاد السمّان، أصحاب السوء كما لقبهم عمّها الكاهن موبخاً. فتاتان شقيّتان وشقيق يافع تديرانه تتأكد من هويتها بسؤال غير مباشر، فتقول للمصلّح تحبباً أنّه شبيه بوالدته حفظها الله له. انقطع التيّار، فلاذت بالصمت. وعوضاً من أن ينفعل برجيس مثل فريد الذي عاد ليقف مُتأهباً مُتبرّماً، حافظ على هدوئه واكتفى بتوجيه يديه صوب لهيب مدفأة الغاز مُواصلاً تمليس السلك بحركة رتيبة مُتباطئة.

-هذا السلك فيه شقوقٌ، ما سأفعله هو تنظيفه وإعادة تجليس أطرافه ليركب حول دائرتي الشريط. من يعلم إذا سيبقى صالحاً لنسخه من جديد. هي مُغامرة، نكتشف ذلك بعد قليل.

صمت الزوجان أمام شرح المصلّح كأنّه الطبيب خارجاً من عملية قد تستغرقُ مدّة لم يُحسب لها حساب.

-خمس وعشرون ليرة.

قالها حاسماً ببرودة تعدّت منطقه الجاف في التعاطي. ثم همهم:

-الدولار تعدّى السبع عشرة ليرة.

لا يعرف العطف طريقاً إلى قلب هذا الرّجل قالت أمينة. سيرضخ فريد لاقتراحه، ويياس إليه، أومأت بصمتها صوب الصورة المعلّقة على الحائط قبالتهما. صورة متوسّطة الحجم بالأبيض والأسود مؤطرة بالعدن الفضيّ المُزخرف. سيّدة في الثلاثين من عمرها. عينان فاتحتا اللون تبرزان من تحت الزجاج بالزغم من الضوء الخفيف. زرقاوان. أو خضراوان ربّما كعينيّ المصلّح.

شردت أمينة في نظرة تملأ المرآة الشاحبة دوي الرّعد، فشخص الثلاثة نحو الشق الأفقي في أعلى باب الشرفة، مصدر النور الخارجي الوحيد. علا صوت الطبول. أصغت أمينة إلى قرعها، قرعةً بعد قرعة، ضربة بعد ضربة. كأنّها الدبكة. دبكة أولاد السمّان،

-مُمكن، أجابت أمينة بتردّد لافت.

-قد تكون واحدة من أقربائهم. اليوم جنّاز الأربعين في الجديدة.

تفاجأت أمينة بما يقوله نادمةً بعض الشيء على استرجاعها اللقاء بالجيران، وكأنّها استشعرت أنّ أمراً مبهماً قد حرّك فضول الرّجل أمامها. غير أنّها ظنّت أنّه سرعان ما سينصرف إلى عمله مُجدداً، فراحت تحسب حساب ما قد تُضيفه من كلام... تحدّثه عن طقس كانون المُتقلب أو عن عيد البربارة الذي صادف مروره قبل أيّام قليلة، علّها توفّر على جلستهم موقفاً غريباً آخر.

- توفيت يوم عيد جميع القدّيسين. لا يزال إعلان الوفاة مُلصقاً عند بابهم. لم يُحضّروا ورقة لقذاس الأربعين.

-الله يرحمها. أردف فريد.

ران صمتٌ قبل أن تتجرّأ أمينة على السؤال بنبرة تحشرج لها صوتها:

-مَنْ من غير شرّ؟

-الأمّ. لقد باتوا اليوم أربعة شبان مع والدهم، رقيب في الجيش.

تلفّظ برجيس بكلامه مُتنهداً، ثمّ استلّ الشريط من جديد.

- من فتح لك الباب يا أمينة؟ سألها فريد بنبرة عالية كأنّه يستجوبها.

- سيّدة طويلة القامة من جيلنا تقريباً، تربط منديلاً على رأسها معها فتى صغير، حفيدها على الأرجح.

وبعد أن كان برجيس قد استأنف عمله بمسح السلك، عاد لتعليقه فجأةً. نتأت عيناه الخضراوان وهو يرمق أمينة بنظرة مذهولة، كأنّه اكتشف لتوّه سراً ما. نظرةٌ كادت أن تخزها، وتعيد إليها الصداع الذي أصابها وهي تعتلي الدرج قبل قليل.

* فصل من رواية بعنوان «الرّجاء، استبدال الأكاليل» للباحث والمهندس في الترميم مازن حيدر تصدر قريباً عن «دار الآداب» (بيروت)

قصائد

عشقٌ سيّئ السُّمعة

فاطما خضر*

لا بدَّ أن أعترفَ بشجاعةٍ
أنّي حبيبةٌ غير جيدة
فأنا قلقةٌ دائماً
والقلقُ
خَصلةُ عشقٍ سيئةُ السّمعة
هناك وُلدتُ
في مساكنِ مطارِ عسكري
وهـذا لا شـأنَ لـهُ بـالـعشقِ والقصائدِ
له علاقةٌ -فقط- بالقلقِ الذي يعلو قوةً
صوت الطّائرات
واضحٌ إذاً..
كم كانت طفولتي قلقة!
عندما
جِئتُ للمرةِ الأولى
اختبأتُ أسفلَ السّرير
أعضُّ يدي لأكتُمَ صوتَ بكائي
أخبرتُ أمّي بقلقٍ أنّي قد أموتُ!
وبَختني قائلةً «ستموتينَ لو تكلّمت مع الرّجال»
وأكّدت جميعُ قريباتِنا وجاراتِنا قول أمّي
من يومِها كلّما قالَ لي رجلٌ «مرحباً»
أعضُّ يدي وأركضُ
قلقةً أن يقتلني!
في المراهقة
كانت عمتي تقصُّ ضفائري
بتسريحةٍ أقربُ لأكونَ بها مصطفى
وكانت أمّي تُوصيني دائماً بألّا أضحك
كنتُ قلقةً دوماً أن تفلتَ مني ضحكةٌ
على طريقِ المدرسةِ
فأرسبُ في صفي!
ذاتَ صباح
من غير قصدٍ كرجَتْ ضحكتي أمامي
فامسكَ بها زميلي بدهشةٍ قائلاً:
«أوف ضحكتك شو حلوة»
فشكوتُهُ للمدير، وأكملتُ مدرستي الثانوية
أعاني فوبيا قلقٍ
أن تعلمَ أمّي!
في الجامعة
كانَ القلقُ زميلي وأستاذي
يخرجُ من كوبِ النسكافيه، من المحاضراتِ
ومنَ الطّريقِ
زميلاتي المُحجبات
رأينَ أنّي قد أدخلُ النّار،
وعليَّ القلقُ جدياً كوني سافرةً
بينما المتحررات قُلنَ أنّي أنثى طموحة
لكن قلقة، إذْ تنقضّني الجراةُ وعلاقةٌ جسديةٌ
لأكتمل!
حبيبي الأول
كانَ بسيطاً طيباً، أحبَّ أصابعي
وقبلَ انقضاءِ عامٍ افترقنا
لشدّةِ ما منعتُ عنّهُ يدي
لم يكن يفهم قلقي الشديد
من أنْ تصبحَ يدي حُبلى،
لو قبّلها!
ثمّ..
لم يتغير شيءٌ
بمزيدٍ من القلقِ تابعتُ حياتي
من عيون مديري، من يدٌ سائقِ التّكسي،
من مجتمعٍ يراني فاشلةً لأنّي لم أصبح عروساً،
من نقودٍ ناقصةٍ في حقيبتي دوماً
من الحرب، من العتمةِ،
من غربةٍ في وطني
والآنَ منك
ساعة رملية مثقوبة
«على كتفي استندي»
لطالما قُلتَ
استندتُ...
فوجدتُهُ قطعةَ دومينو
ما إنْ مالتْ، أسقطت في طريقِها شعوري
لِتُشفى
من أحقادٍ
تراشقناها طوالَ الليل،
تُمارسُ الحُبَّ صباحاً بساديّةٍ
فنغدو أكثرَ ألماً
نردّي الصّمتَ
ونمضي
انظرْ إليكَ
وأنتَ تقطعُ الشّارعَ
فتبدو لي كقطّةٍ سوداءَ
مرّت أمامَ قلبي
فأفسدتْ
صباهُ
أركبُ الحافلةَ...
بضجرٍ أقرأُ منكَ
محاولةً لترميمِ الخرابِ
كيفَ ساقبلُها
وهي أشبهُ باستخدامِ التيكو
لإصلاحِ زتقِ مدينةٍ
أصابَها زلزالٌ!
ما عادَ العتابُ يُجدي...
إذ
ألّت أذني
لساعةٍ رمليةٍ مثقوبةٍ
تتطايرُ منها رمالُ كلماتِكَ

مصافحة ماءٍ لنار!
يداكَ الماء
بعدَ نموّ خمسِ دوالي عنبٍ
امتدّت لمصافحتي، فأطفأتَ أصابعي النّار
أعترفُ أنّي طوالَ قصتنا كنتُ...
مُملةً،
تُحدّثني عن أسعارِ الصّرفِ
بينما أتشغلُ في عدِّ زغبٍ
يلمعُ مع أثرِ الشّمس
على ذقنِكَ
غيرَ مباليةٍ،
ففي وقتٍ شكوتَ فيه
من أعراضِ اكتئابٍ دائمٍ يُرافقُكَ،
قصصتَ لكَ عن أبطالٍ
نَجوا باعجوبةٍ!
وقليلةِ الانتماءِ!
فبينما تحكي عن تحوّلِ آذارٍ
لنكبةٍ
أتركُ يدي تغفو بينَ كفيكَ قائلةً:
حضنُ كفيكَ دافئٌ
ولكلِّ وطنٌ
اليوم وأنتَ ترحل
إلى ضفافِ السّين
أدركُ تماماً كم خانَني وطني!

امرأةٌ أُحيلَت إلى دميةٍ
فتتركي نُدبةً
الكتابةُ هي
جريمتي الوحيدة!
حتى المدنُ
تتغيّرُ طبائعُها!
كانت مدينةٌ وُسِمَت بالحبورِ
وفي الأمسِ، كنا كعادتِنا
نمشي يدي بيدك
لكن..
كانت شوارعُ اللاذقية تصفعُنا
هكذا أصبحت قاسيةً
بفعلِ شتائمنا
وخلافاتِنا!
صعدتُ الحافلةَ
لم يكنْ هناكَ مُتّسعٌ للجلوسِ
وبعدَ انتظارٍ..
حصلتُ على مقعدٍ ذي ظهرٍ مكسورٍ
فأسندتُ ظهري على خيبتي
هكذا إذاً..
يحدثُ أنْ تسندَنا خيبةٌ!
في صدى الظّلامِ اكتبُ أمنياتي
الأولى: أنْ أغفرَ لوطني
الثّانية: أنْ أغفرَ لك
الثالثةُ: سأكملها
عندما تأتي
الكهرباء
الماءُ الذي نشربُهُ
هو دموعُ الفقراءِ والمنكوبين
لذلك لستُ قلقةً أبداً بشأنِ نفادِ الماءِ
في وطني
كيفَ
لكلِّ هذه السّماء،
أنْ تُغطي هذه الأرضَ؟
فالسّماءُ واسعةٌ جدّاً،
لكنّ الأرضَ ضيقةٌ جدّاً
ربما عليها أنْ تكونَ
أكثرَ طموحاً وجديةً، فتُغطي
أرضاً أخرى أكثرَ رحابةً
لأبنائِها!
هكذا أبدو..
أنثى هادئةً،
بابتسامةٍ هادئةٍ،
بصوتٍ ذي طبقةٍ هادئةٍ،
حركاتُ يدي إنْ تحدّثتُ هادئةً،
أتناولُ طعامي ببطءٍ وهدوءٍ،
مشيتي ثابتةٌ وهادئةٌ،
حتى أنّي أنامُ بهدوءٍ،
لكنّي في داخلي
أصرخ..

* سوريا

ماتيو بورتر ــ «قلق» (طباعة صيغة ارشيفية ـ 29 × 24,5 سنتم ـ 2019)

سكاكين تتحول إلى زهور

أصالة لمع *

الزهرة التي كانت زرّاً صغيراً
تفتحت في غيابي
ككلّ الأشياء التي حين أتركها
تأتي إليّ

■■■

حين أقرع بزهرة في حديقتي
فأنا أقرع بزهور العالم كلّه
حين أحبك
أحب النّاس جميعاً
أنا متعبة
وهذا العالم الكبير صار ضيقاً
لم يعد لديّ ما يهمني هنا
سوى الأزهار
والحب

■■■

لا أشعر بانني ثابتة
إلا حين يهتزّ قلبي
قلبي زهرة ماتت في الليل
وأنا ظلّ نحيل
يتأرجح على الحائط المتصدّع
الذي عريشت عليه
أغصان الغاردينيا والورد

■■■

تريد أن تقول زهرة
فتقول: هشاشة
تريد أن تقول حب
فتقول: ألم
كل شيء أزرق
حتى الزهرة التي تفتحت وحدها
على كعب الشجرة الكبيرة
هل كانت زرقاء حقاً؟
أم أن الهشاشة تصيب نظرتك
للأشياء
حين تغمرك الوحدة
كموجة رقيقة متواصلة؟
هل اعتدت الألم حقاً؟
وذاك السكين
ما زال يحزّ
دوماً
الندبة نفسها
في قلبك المزرقّ بالخيبات؟

■■■

زهرة بنفسجية
نبتت بين شقوق حجر
يقولون: الزهرة متعطّشة للحياة
من يفكّر بوجع الحجر
حين جرحت جموده
زهرة؟
من يفكر بالقصب
حين يعزف الناي؟
من يفكر بالشجرة
حين يكتب نصاً جميلاً؟
«الجمال أبقى من الوجع»
هذا ما يهمسه لي الشّعر
كلما امتص وجعي
كوحش صغير
اعتدتُ كيف تتحوّل سكاكينه في جلدي
إلى زهور

■■■

لطالما انتصر الجفاف على الورد
جرثيا اللين
فذوبنا العالم
غمّسنا بمائه المغلي
جفّفنا بين صفحات كتابه الصفراء
«أيتها الوردة التي ترتجف في الريح
متى نُجرّب القسوة؟
أنا مثلك
فمي ممتلئ بالماء
وقلبي ممتلئ بالعطر
وأذرعي تهتزّ وتسقط
وأريد أن أصمد
أمام مطرقة العالم الخشبية
دون أن أتحوّل إلى وتد في الأرض»
...
نامي بسلام
أيتها الوردة التي
كانت
ترتجف في الريح.

■■■

كل شيء ساكن في الحديقة
وأنت وحدك
حتى حين تحيط نفسك بالزهور والكتب
وفناجين القهوة التي رسم عليها الأمير الصغير
وليل فان غوخ المرصّع بالنجوم
وحتى حين تصعد ضحكات الأطفال مع الشتلات الخضراء
نحو الشمس
أنت وحدك
والغربة تقطن في مكان مقفر من صدرك

■■■

حيث لا يصل شيء
وأنت وحدك
إلا ساكسوفون ينتحب في مقطوعة جاز قديمة
أو عود مترفّع
كحزنك
وفناجين القهوة التي رسم عليها
الأمير الصغير
كلما تركك الشّعر وحيداً
فانت لم تعد تبكي
أنت تكتب فقط...
كل شيء ساكن
حتى حين تحيطك الزهور والضحكات والقصائد والموسيقى
لكن الشحرور الأسود مستمر في الغناء على الغصن
ورائحة الخشب المحترق في مواقد البيوت
تمتزج برطوبة الهواء برقّة
وأنت هنا منذ ساعات
لا تفعل شيئاً
جالساً في أرجوحة
أزيزها يغمد الملل في جسد الوقت المترهّل
لكنك حتى حين لا تفعل شيئاً
تفعل هذا بشكل متقن
كزهرة نبتت في جلد الزمن
بلا قصد بلا هدف
حتى حين لا يحدث شيء
تحدث في داخلك أشياء
زهور تتفتّح وتموت
وأنت تنتظر
متى ستتحوّل الزهرة البيضاء
في الشجيرة الصغيرة
إلى برتقالة
تتمناها زرقاء
كارض بول إيلوار البعيدة.

* لبنان

كاسبر كوفالسكي ــ «خريف 76» (طباعة صيغية ارشيفية على المنيوم ــ 60 × 45 × 0,5 سنتم ــ 2020)

ترجمة

بورخيس مُبحراً في «كوميديا» دانتي

محمد ناصر الدين

صدرت أخيراً عن «منشورات الجمل» (الشارقة/ بغداد) ترجمة الكتاب المرجعي المهم «تسع مقالات حول دانتي» للشاعر والروائي الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس (1899-1986) بترجمة رضوان ناصح وزينب سعيد. في التاسعة والثلاثين، بدأ بورخيس قراءة دانتي في الترامواي الذي كان يقلّه إلى إحدى ضواحي بوينس ايرس حيث حصل على أول منصب له كأمين للمكتبة. الرحلة التي تستغرق ساعتين وظّفها صاحب «الألف» لقراءة «الكوميديا»، مستنداً في البداية إلى ترجمة إنكليزية. على مرّ السنين، تشعبت قراءته للعمل الذي طبع القرون الوسطى الأوروبية بأكملها، وأفضت ملاحظاته إلى نصوص مختلفة، جمعت عام 1982 في هذا الكتاب.

الإحالات إلى «الكوميديا» التي يسمّيها «الكتاب الأكثر صلابةً في الأدب» ستغزر عليها في كل أعماله الأخرى، بما في ذلك المقالات والنصوص النثرية والقصائد. لا ينفصل نقد بورخيس للكوميديا بالطبع عن عوالمه الخيالية التي استوعبت الكثير من الافتراضات المعلنة أو المُقنّعة من الثقافة العالمية، وإذ يقول الشاعر الفرنسي بودلير إنّ «الخيال، بفضل طبيعته البديلة، يحتوي على الروح النقدية»، يمكن للمرء أيضاً، بالنسبة لبورخيس، عكس الاقتراح والقول إنّ الروح النقدية، بفضل طبيعتها الملهمة، تحتوي على الخيال. المقالات التسع حول دانتي تقدّم نفسها بالطريقة ذاتها تقريباً: يعرض بورخيس مشكلة ما في القراءة، ويستشهد بالكثير من النقاد الذين حاولوا حلّها، ويختتم بإجابته الذاتية التي تطرح نفسها بطريقة مدهشة ومتواضعة. يقول بورخيس في أحد كتبه: «لتحقيق الشهرة، ليس من الضروري أن يكون الكاتب عاطفياً، ولكن من الضروري لعمله الأدبي وبعض ظروف حياته أن تبعث على الشفقة». في عمل دانتي، شخصية أوديسيوس أو الحبيب التعيس، التي تستحضر بقوة في المقالة الثالثة، تمثل تماماً هذا البُعد المأساوي الباعث على الشفقة. في الرحلة الأخيرة لأوديسيوس، يتساءل بورخيس لماذا يلقي دانتي ببطل الأوديسة في الدائرة الثامنة من الجحيم بين المستشارين الخونة. لقد قام دانتي بالفعل بتحوير أسطورة هوميروس التي أعادت أوديسيوس بحكمة إلى إيثاكا بعد عشرين عاماً من التيه التجوال: نراه في نص دانتي يقوم برحلة أخيرة ومميتة. لا يشكك بورخيس في مصدر هذا البديل المأساوي، بل نجد ربما المبرر في مقولته الشهيرة حول حق الكاتب في اختراع أسلافه، وبالتالي حقه في تعديل ذكريات الماضي أو الأسطورة بأكملها، وهي نظرية شرحها بورخيس في أحد كتبه اللاحقة: «من الواضح أنه لا يمكن لأي إنسان ولا حتى الربّ، أن يغيّر ما في الماضي، ولكن يلي، يمكن تغيير صور الماضي»؛ إن ثبات الماضي، بالنسبة لبورخيس، هو انحراف للواقعية. لذلك، يستعيد مراراً في حواراته نظرية الذاكرة التي شرحها له والده أستاذ علم النفس في طفولته، الذاكرة، وفقاً لهذه النظرية، لا تتغذى على الحقائق الحية، لكن تقّات في كل مرة على الذكرى الأخيرة لهذه الحقائق، التي بدورها هي ذكرى لذكرى، إلى آخر المتاهة التي يشتهر بها بورخيس. تتضمن الفرضية المُخيّبة للآمال تعزية متناقضة: إذا كانت الاستمرارية الوحيدة الممكنة للماضي هي ذاكرة الذاكرة، فإن تعديل إحدى ذكريات السلسلة، بطريقة ما، هو تغيير الماضي، وهذا ما يسمح للأدب ما هو ممنوع عن التاريخ. لا يدين دانتي أوديسيوس لأنه تخلى عن أبيه وزوجته وطفله ولا لمشاركته في حرب طروادة، أو حتى حيلة الحصان الشهيرة بل يدينه على فضوله لمعرفة الناس والعالم وراء الحدود التي عيّنتها الآلهة وقادته بالتالي إلى الحكم بالموت على آخر رفاقه. إلا أنّ بورخيس لا يلبث أن يتجاوز لعب دانتي في صور الماضي، ليقول كلمته الأخيرة والمدهشة في هذا الفصل، حين يقارن بين «حج دانتي (في

الوقوع في الحب معناه خلق ديانة يكون إلهها غير معصوم

كتابة «الكوميديا»)» الذي يحمل معه نظرة مقدسة وأفضل كتاب كتبه الرجال، وبين مغامرة أوديسيوس التي تُعتبر ضرباً من التدنيس تقود صاحبها إلى الجحيم: كان دانتي عالم لاهوت وغالباً ما كانت كتابة «الكوميديا» لا تخلو من الصعوبة، أو ربما ليست أقل مجازفة وهلاكاً مقارنة بالسفر الأخير الذي قام به أوديسيوس. لقد تجرّأ على صياغة أسرار الغيب التي لُمح إليها بالكاد قلم الروح القدس؛ قد يحتمل القصد ذنباً ما. لقد تجرّأ على أن يساوي بين بياتريتشي بورتيناري وبين العذراء والمسيح، لقد تجرّأ على استباق الأحكام الغيبية للبوم الآخر...»، ليعلن بورخيس بصراحة (ص 49): «لقد مثّل دانتي أوديسيوس، وقد خشي بطريقة أو بأخرى أن يتعرّض للعقاب نفسه الذي لحق بهذا الأخير». في المقالة الثانية (أوكولينو الزائفة)، يطرح بورخيس الإشكالية الثانية القائمة بين الكاتب والمتلقي، والحدود في الكتابة بين الواقع والتخييل، ووظيفة الكتابة في زرع الشك أكثر من تقديم الراحة واليقين، حيث يبدو هذا القدر من القسوة تجاه حبيبها؟ لماذا عددت للملائكة بصرامة خطايا حبيبها واعلنت له أن الطريقة الوحيدة لخلاصه، بما أنه سقط إلى أسفل سافلين، هو الاعتراف بذنوبه أمام الكائنات المدهشة التي تُنصت؟ لا يلبث بورخيس أن يعطينا الإجابة المحتملة: الوقوع في الحب معناه خلق ديانة يكون إلهها غير معصوم. أن يمارس دانتي عبادة وثنية تجاه بياتريتشي حقيقة لا يمكن إنكارها. فمن بين الوقائع التي سجلها كتابه «الحياة الجديدة» هي أن بياتريتشي قد سخرت منه تارة واستهانت به طوراً. هذا ما يزيد من تعزيز يقيننا بأنه حب تعيس وخرافي. بموت بياتريتشي ورفضها له، وفقدانها إلى الأبد، عمّد دانتي إلى التخيّل للقائها، لكنه حلم بها صارمة جداً، وهي على عربة يجرّها شيء ملتبس بين الأسد والطائر، حيث يمكن للأحداث أن تتكهن بكابوس في الأنشودة التالية حيث تختفي بياتريتشي ويهجم عُقاب وثعلب وتنّين على العربة، وتغطّى العجلتان والدفة بالريش، وتظهر عندها سبعة رؤوس من العربة، ويستولي عملاق ومومس على مكان بياتريتشي. إنه الحب الذي يستحيل أن تتساوى دقائه، كما يقول الشاعر العربي: «فيا ربّ سوّ الحبّ بيني وبينها، يكون كفافاً لا عليّ ولا ليا». وهذا ما يكشفه بورخيس بوضوح: «كانت بياتريتشي بالنسبة إلى دانتي كل شيء، هي الوجود المطلق، أما بالنسبة إلى بياتريتشي فاقل من ذلك بكثير، أو ربما لا يمثّل لها شيئاً. كلنا نميل بدافع الشفقة أو بدافع التبجيل إلى نسيان هذا التنافر المثير للشفقة، والذي لا يمكن لدانتي أن ينساه. اقرأ واعيد قراءة مصاعب لقائه الوهمي، فافكر في العربة النصر تجرها الفتخاء (حيوان خرافي برأس نسر وجناحي وجسم أسد ضخم)؛ على يمين العربة ثلاث نساء يرقصن، إحداهنّ شديدة الحمرة بالكاد تميّزها من داخل النار، وعلى يسار العربة أربع نساء بحلل قرمزية، واحدة منهنّ بثلاث أعين. تتوقف العربة فتظهر امرأة محجبة، لون لباسها لون اللهب المشتعل، يفهم دانتي أنها بياتريس من ارتعاشة دمه. لماذا تبدو بياتريتشي على هذا القدر من القسوة تجاه حبيبها؟ لماذا عددت للملائكة بصرامة خطايا حبيبها واعلنت له أن الطريقة الوحيدة لخلاصه، بما أنه سقط إلى أسفل سافلين، هو الاعتراف بذنوبه أمام الكائنات المدهشة التي تُنصت؟ لا يلبث بورخيس أن يعطينا الإجابة المحتملة: الوقوع في الحب معناه خلق ديانة يكون إلهها غير معصوم. أن يمارس دانتي عبادة وثنية تجاه بياتريتشي حقيقة لا يمكن إنكارها. فمن بين الوقائع التي سجلها كتابه «الحياة الجديدة» هي أن بياتريتشي قد سخرت منه تارة واستهانت به طوراً. هذا ما يزيد من تعزيز يقيننا بأنه حب تعيس وخرافي. بموت بياتريتشي ورفضها له، وفقدانها إلى الأبد، عمّد دانتي إلى التخيّل للقائها، لكنه حلم بها صارمة جداً، وهي على عربة يجرّها شيء ملتبس بين الأسد والطائر، حيث يمكن للأحداث أن تتكهن بكابوس في الأنشودة التالية حيث تختفي بياتريتشي ويهجم عُقاب وثعلب وتنّين على العربة، وتغطّى العجلتان والدفة بالريش، وتظهر عندها سبعة رؤوس من العربة، ويستولي عملاق ومومس على مكان بياتريتشي. إنه الحب الذي يستحيل أن تتساوى دقائه، كما يقول الشاعر العربي: «فيا ربّ سوّ الحبّ بيني وبينها، يكون كفافاً لا عليّ ولا ليا». وهذا ما يكشفه بورخيس بوضوح: «كانت بياتريتشي بالنسبة إلى دانتي كل شيء، هي الوجود المطلق، أما بالنسبة إلى بياتريتشي فاقل من ذلك بكثير، أو ربما لا يمثّل لها شيئاً. كلنا نميل بدافع الشفقة أو بدافع التبجيل إلى نسيان هذا التنافر المثير للشفقة، والذي لا يمكن لدانتي أن ينساه. اقرأ واعيد قراءة مصاعب لقائه الوهمي، فافكر في العربة النصر تجرها الفتخاء (حيوان خرافي برأس نسر وجناحي وجسم أسد ضخم)؛ على يمين العربة ثلاث نساء يرقصن، إحداهنّ شديدة الحمرة بالكاد تميّزها من داخل النار، وعلى يسار العربة أربع نساء بحلل قرمزية، واحدة منهنّ بثلاث أعين. تتوقف العربة فتظهر امرأة محجبة، لون لباسها لون اللهب المشتعل، يفهم دانتي أنها بياتريس من

قصص

باتريك زوسكيند: تأمّلات في عبثية الحياة البشرية

سلوى دبوق

هل سبق أن سيطرت فكرة ما على عقلك وسبّبت لك قلقاً وربّما وسواساً قهرياً؟ هل أخفقت يوماً في اختبار ما، فتحطّمت ثقتك بنفسك واعتبرت أنّك شخص فاشل؟ هل تقضي ساعات طويلة في تخيّل حدوث كارثة ما لك ولعائلتك؟ إذا كان أي من تلك المواقف مألوفاً، فمن المحتمل أن يكون لديك استعداد للتهويل والهوس الاكتئابي، ما يجعلك تبالغ في تقييمك للمواقف الحياتيّة، وتغالي في العواقب السلبيّة المحتملة لذلك السيناريو الذي يدور فقط في رأسك.

تهيمن ثيمة الهوس على المجموعة القصصية «الصراع» (1996) للكاتب الألماني الشهير باتريك زوسكيند (1949). في هذه المجموعة التي انتقلت أخيراً إلى العربية (دار المدى - ترجمة كاميران حوج)، يُقدّم زوسكيند أربع قصص مختلفة حول شخصيات تستحوذ عليها فكرة معيّنة مجنونة، وتؤدّي في بعض الأحيان إلى تدمير حياتها بالكامل. القصة الأولى تدور حول فنّانة موهوبة تخسر مستقبلها، ويجفّ مصدر إبداعها بسبب تعليق سخيف لأحد النقّاد حول نقص العمق في أعمالها. بعدما واجهت هذا النقد اللاذع في معرضها الأول، تصبح هذه الفنانة مهووسة بمفهوم العمق في فنّها و تنعزل تدريجاً عن العالم الخارجي، محاولةً بشكل يائس فهم وتحقيق هذا «العمق» الذي تعتقد أنه ينقصها. تقوم الفتاة الشابّة باعمال متنوعة لسد هذه الثغرة: دراسة الفنّ، قراءة كتب الجماليات، زيارة المتاحف... ومع ذلك، تبوء هذه المساعي بالفشل، فتفقد ثقتها بنفسها، وتصبح منفصلة عن الواقع، وتنغمس في الوحدة والاكتئاب والعادات الضارة مثل تناول الكحول والأدوية العصبية. ورغم دعم أصدقائها الذين يحاولون مساعدتها، تنخرط أكثر في سعيها المهووس لتقديم عمل فنّي أصيل وعميق. في النهاية، بعدما استنزفت الرسّامة طاقاتها الجسديّة والعقليّة، تُنهي حياتها بالقفز من قمّة برج عالٍ. هذا الفعل المأساوي يجذب وسائل الإعلام التي تُحلّل أسباب انتحارها. يعود الناقد (المُتسبِّب في الكارثة) إلى لوحاتها الأولى ليشرح كيف عكست بالفعل تلك الأعمال توترها الداخلي وسعيها النهم للوصول إلى العمق ويتساءل عن مفهوم «العمق» نفسه وكيف أدى إلى تدمير الشابة.

باختصار، تستكشف هذه القصة مواضيع الضغوط الفنيّة، والبحث عن الأصالة، وانعكاس آراء النقّاد السلبيّة على نفسية الفنان. النص الثاني بعنوان «الصراع» يصف مشهداً في إحدى أمسيات شهر آب (أغسطس) في حديقة لوكسمبورغ حيث يجلس رجّلان ليتبارزا حول رقعة الشطرنج. تجذب اللعبة اهتمام عدد من المتفرّجين، وتتركز الأنظار على اللاعبَيْن: الأول وهو البطل المحلي العجوز الذي يفوز في جميع المنافسات منذ سنوات طويلة. أما الثاني، فشابّ غامض ذو مظهر واثق وهادئ، تلقى لعبة الشطرنج التي يلعبانها متابعةً حثيثةً وحماسية من قبل 12 متفرجاً. يتوجه انتباه الجميع نحو الشاب المُتحدّي الذي يبقى صامتاً طوال مُجريات اللعبة، مكتفياً بتحريك قطعه بلا مبالاة، واضعاً سيجارة بين أصابعه من حين إلى آخر، من دون أن يتسبب الشاب الجذّاب قلوب الحاضرين، فيشعرون باليقين التام بأنهم أمام شخصية استثنائية تماماً، ذات موهبة هائلة وعبقرية. مردّ هذا الشعور يعود ربّما إلى مظهره الوسيم، ولباسه الأنيق، وجماله الجسدي؛ وربّما إلى بشعه هدوئه وثقته بذاته. في كلّ الأحوال، كان الحضور، مقتنعاً تماماً بأنه رغم أنّه يلعب بطريقة غير مفهومة، ويُحرك أحجاره بطريقة خطرة وغبيّة، هو لاعب شطرنج من الطراز الأول، وسيحقق المعجزة التي كان الجميع يتمنّونها سراً، وهي هزيمة البطل المحلي. للأسف يخيب أمل الحضور، ويفشل اللاعب الوسيم في هزيمة العجوز الخبير في اللعبة. لكنه ينسحب بفخر وعدم اكتراث من دون أن ينطق بحرف واحد، مثيراً تعاطف الجميع معه، بمن فيهم اللاعب الفائز المظهر الخارجي والثقة بالنفس في كسب القلوب والسيطرة على الآخرين، ولو كان المحتوى الذي يقدّمه الإنسان ضحلاً، لكنها تُظهر في الوقت عينه قيمة الخبرة والمعرفة لتحقيق الانتصار الحقيقي. القصة الثالثة «وصيّة المعلم موسارد» تتناول حكاية جواهرجي ماهر ومعروف في باريس، يُقرر أن يتقاعد بعد سنين طويلة من العمل ويستقر في منزل رائع بناه خصيصاً لهذه المرحلة من حياته. في أحد الأيّام، يتفاجأ أثناء عمله في الحديقة على اقتلاع الورود الضعيفة، بوجود صخرة مغطاة بالصدف مكان الأزهار، ثم يجد صخوراً عدة من النوعية ذاتها في أماكن متفرقة من بستانه. يثير هذا الاكتشاف فضوله، ويقرر عندئذ البحث واستكشاف المنطقة التي يعيش فيها، فيجدها مليئة بصخور صدفية. يستنتج الصائغ الذي يدّعي اعتماد المنهجية العلمية في أبحاثه، أنّ الأرض كلها تتحجر رويداً رويداً، وتتحول إلى صدفة كبيرة عملاقة، ما سيؤدّي في النهاية إلى موت جميع الكائنات الحيّة. تُسيطر هذه الفكرة الغريبة على عقله، فيُصاب بالهوس لدرجة أنّه يمرض بشدة، ويبدأ جسمه بالتحجر ليموت في النهاية بشكل يائس تاركاً وصيّة محذراً فيها من نهاية العالم. تبدو نبرة هذا النص ماساوية ومظلمة تُعبّر عن اليأس المطلق. استخدم الكاتب صورة الصدفة المتكلسة لاستكشاف مفاهيم فلسفية مثل التحوّل، والموت، وطبيعة الكون والوجود البشري، وكيفية مواجهة الكائنات الحيّة لفنائها الحتمي، كما أنه أبرز أضرار الأفكار السوداوية التشاؤمية على جسد الإنسان وصحته العقليّة.

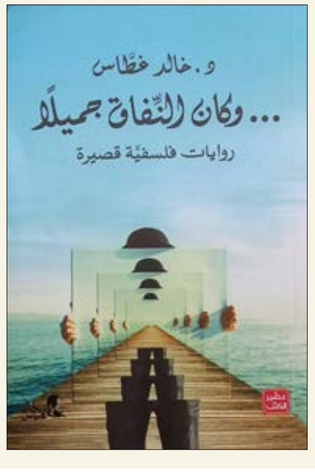

يُقدّم في هذا العمل رسائل فلسفية عن معنى الوجود ومأساة الإنسان القلق

أما النصّ الأخير، فهو تأمل حول الذاكرة والقراءة وتأثير الكتب على حياتنا. يبدأ الراوي بالتساؤل عن الكتاب الذي ترك أثراً لا يُمحى في نفسه، وغيّر مجرى حياته، لكنه يشعر بالإحباط، حين يكتشف أنه غير قادر على تذكر معظم الكتب التي قرأها، كان كل شيء تبخّر من ذاكرته. يستخدم الراوي السخرية لاستكشاف آثار النسيان الأدبي، ثم يشير إلى أنّ النسيان قد يكون في الواقع مفيداً للكاتب، إذ يمكن أن يسمح له بالتحرّر من القيود التي يفرضها التأثير الأدبي للنصوص السابقة، وبأن يبدع بحرية أكبر متجنباً الانتحال والتكرار. لكنه يعود ويطرح فكرة بأنّ قراءات الإنسان تظل محفورة في لاوعيه، ولو انزلقت ظاهرياً من ذهنه. يناقش النص كيفية تفاعل القراءة والذاكرة، ودور الذاكرة في بناء علاقتنا بالأدب والتفكير النقدي، وكيف يمكن أن يلعب النسيان دوراً متناقضاً في الإبداع وفهم الأعمال الأدبية. استعمل باتريك زوسكيند أن يُقدّم في هذا العمل رسائل فلسفية عميقة عن عبثية الحياة البشرية، ومأساة الإنسان القلق والمكتئب الذي يبحث بلا طائل عن المعنى والهدف من الوجود في عالمٍ قاسٍ ومُعقّد.

خالد غطّاس: معضلات الإنسان المعاصر

مهدي زلزلي

في كتابه الأوّل «... وكان النفاق جميلاً» (عصير الكتب)، يدخل خالد غطّاس عالم الكتابة والنشر متكئاً على شعبيّة جارفة استطاع تحصيلها كمؤثر ومحاضر في مجال التنمية البشريّة و«عالم حياة» كما يحبّ أن يعرّف نفسه. إذا كانت هذه الخلفيّة عاملاً مساعداً في انتشار الكتاب وتسويقه - وهو ما ظهر في الحشود التي حضرت احتفال التوقيع في «معرض بيروت للكتاب» الأخير - فلعلها كانت في الوقت نفسه عائقاً أمام وصول الكتاب إلى شريحة قد تكون معنيّة به ومدركة لأهميّة مضمونه أكثر من غيرها، وهم قرّاء الأدب الذين لا تستهويهم بالضرورة «التنمية البشريّة» على اختلاف مسمّياتها ومدارسها، ويدفعهم الوقوع في فخّ الأحكام المسبقة إلى الظنّ أنّ ما في الكتاب امتداد لما يقدّمه الكاتب من محتوى عبر وسائط التواصل الاجتماعي، أو محاولة أخرى غير مكتملة الشروط لتمدّد المشاهير نحو ميادين جديدة طمعاً بالمزيد من الشهرة. والحقّ أنّ من الإنصاف قراءة مقدّمة الكتاب قبل رميه بالأحكام المسبقة، وفيها يقول الكاتب مخاطباً القارئ: «إن كنتَ تتوقّع من هذا الكتاب أن يقدّم أجوبة واضحة وصريحة أو نصائح بعدد محدّد، تساعدك على فهم أمر ما أو الوصول إلى هدف ما أو السيطرة على شعور ما، فلا تشترِه، اعدُه إلى رفّ المكتبة وامضِ إلى غيره. وإن كنتَ قد اشتريته قبل أن تقرأ هذه المقدمة، فعوّض الله عليك، ضعه في رفّ مكتبتك بجانب تلك الكتب التي لم تكملها أو لم تفتحها ولا لمرّة، قد يأتي حفيد أو ابن أخ أو أخت لا يتوقّع من هذا الكتاب ما تتوقّعه أنت».

وبعيداً عما يحمله عنوان الكتاب من إنشائيّة، فإنّ نصوصه التي اختار الكاتب أن يطلق عليها «روايات فلسفيّة قصيرة» هي قصص قصيرة حقيقيّة وكاملة الأوصاف، مكتوبة بلغة أدبيّة متينة ورصينة وبأسلوب سرديّ سلس يحتوي على كل عناصر الجذب والتشويق. وإذا كان تحميل هذه القصص بالرسائل الإنسانيّة والأفكار الفلسفيّة بديهيّاً ومتوقّعاً بالنظر إلى هوية الكاتب، فإنّ ذلك لم يأتِ مطلقاً على حساب المتعة المتأتية من الاعتناء بالقالب الفني والالتزام بشروط النوع الأدبي ومعايير الكتابة الإبداعيّة.

يلتقط غطّاس من الواقع شذرات حكايات غير مكتملة ويضيف إليها من خياله ما يكمل به الصورة، فلا يعود القارئ قادراً على التفريق بين الواقع والمتخيّل، وفي هذا ذروة نجاح الكاتب روائيّاً كان أم قاصّاً. وبين هذه وتلك، يمرّر الفكرة والحكمة والرأي بعيداً من أي وعظ أو تنظير أو خطابة.

ويطلّ طيف الكاتب في معظم القصص قبل أن يعود ليختفي خلف أحداث متخيّلة محبوكة بعناية تكمل النسيج السردي، فترى في القصّة الأولى التي تحمل عنوان «وكان النفاق جميلاً» بعضاً منه في طالب الجامعة الأميركية في بيروت الذي أجّل القبلة الأولى ليخوض مع حبيبته في نقاش فلسفي عن النفاق وزمنه الجميل، مستنداً إلى ما لديه من سحر الكلام وقدرته المميّزة على التفاعل بكل تفاصيل صوته وأطرافه وجسده مع هذا الكلام.

وفي «قصّة بسيناريوهين»، نراه شابّاً من هذا الزمان ينشغل عن جدّيه العجوزين بالنفاذ من خلال هاتفه الجوال إلى عالم خاصّ به وحياة تشبهه، قبل أن نكتشف نقطة الافتراق بين السيناريوهين التي تجعل كل واحد منهما مناقضاً للآخر.

وفي «حبّ ووحدتان»، يتجلى الكاتب في ياسر الذي «راح يغوص في أعماق نفسه ومشاعره ويدقّق في مشاعر الفرد والمجتمع والمنظومة التي تربطهما وبدأ يكتب ويتكلم من صلب مشاعره عما قد يخفّف ألم الناس ويسهّل عليهم معيشتهم ودنياهم ويعرض عليهم رؤيته من وجهات نظر غير التي ألفوها وسئموا منها، فانتشرت كتاباته وذاع صيته وصار يُسدَّعى لإلقاء محاضرات عن الحياة يحذّر فيها من أشياء ويحفّز على أشياء أخرى».

وفي «رفاهيّة الشكّ»، يحضر الكاتب أيضاً من خلال قراءاته هذه المرّة، وتحديداً قصّة «ارثي الله» لتوفيق الحكيم، فتبدأ الأولى من حيث انتهت الثانية لتقدّم مقترحاً سردياً متصلاً ولكنّه بالغ الجدّة والابتكار. بينما يأخذ في «ليس كل جبار كاملاً» شخصيّتين من رواية نجيب محفوظ «أولاد حارتنا» (الجبلاوي وإدريس) فيقحمهما في قصّته بين أحداث وشخصيّات أخرى من نسج الخيال، في ما قد يراه القارئ محاولة للاختصار وتوضيح المقصود أو مجرّد تشابه أسماء.

أمّا في «بين الغريب والشائد» فيخوض الكاتب معركة الدفاع عن الأسرة من خلال حكاية تقوم على فرضيّة متخيّلة وغريبة تحصل في زمن قادم، وإن كان ما في حاضرنا من مقدّمات واقعيّة يخفّف من غرابة المتخيّل فيها.

ولعل أبرز ما يسجّل للكاتب أنه استطاع الفصل بين مجاله الأساسي الذي يقوم بشكل رئيس على تقديم النصح انطلاقاً من خبرات حياتيّة وأكاديميّة وتأملات فكريّة، وبين مقتضيات الكتابة الأدبيّة وشروطها، فاكتفى في قصصه بمناقشة معضلات اجتماعيّة وفرديّة تواجه الإنسان المعاصر، وفتح أبواب التفكّر والتأمل أمام القارئ، من دون أن يتورّط في محاولة تقديم حلول لهذه المعضلات بما يتجاوز دور الأدب ويخلخل بنيان السرد.

يلتقط من الواقع شذرات حكايات غير مكتملة

لمحات

هيثم صالح طيون وأحمد رسمي وسلامة المصري

يستعرض كتاب «تاريخ حضارات الشرق المخفي والمُغيّب: أساطير الحضارة الفينيقية -الكنعانية» (الدار الليبرالية ـ السويد) قصة نشوء وتطوّر الأساطير والأديان الإبراهيمية في منطقة الشرق الأوسط والأدنى. يهدف المؤلفون (هيثم صالح طيون، أحمد رسمي، وسلامة المصري) إلى أن يكون الكتاب مرجعاً تاريخياً صحيحاً. كما يسعون إلى إثراء المكتبة العربية والعالمية بهذه الموسوعة التاريخية كي تكون لبنة مؤسسة تُساعد الأجيال القادمة من الباحثين في مقاربة الحقيقة عن طريق البحث العلمي المنهجي والمجرد من أي تأثير عاطفي ديني أو سياسي أو أيديولوجي. يقدّم الكتاب للقارئ مُجريات أحداث تاريخ المنطقة كما حدثت، ولا مثلما تمّ تقديمها لنا من قبل المستشرقين وتلامذتهم. كذلك يربط بين نشوء وانتقال الأساطير وتكوّن وتطوّر مُعتقدات أديان ومذاهب شعوب المنطقة والعالم.

محمد فايق

في الذكرى الحادية والسبعين على ثورة الضباط الأحرار في مصر، أصدر «مركز دراسات الوحدة العربية» مذكرات الوزير والسياسي والمناضل محمد فايق بعنوان «مسيرة تحرر». يُعتبر فايق أحد أبرز رموز وقادة حركة التحرر التي قادتها مصر في الوطن العربي وأفريقيا والعالم خلال الحقبة الناصرية. يسرد فايق مذكراته في هذا الكتاب لا بوصفه شاهداً على الأحداث التي عرفتها مصر على مدى ستة عقود، بل بوصفه مشاركاً في تلك الأحداث. لا تتوقف مذكرات فايق عند أحداث الحقبة التحررية الناصرية، بل تليها حقبة السجن في عهد الرئيس أنور السادات ليعود ويستكمل مسيرته التحررية بعد خروجه من السجن في حقبة النضال في قضايا حقوق الإنسان محلياً وعربياً وعالمياً، على مدى أكثر من ثلاثة عقود من عمره، حالماً في صنع مستقبل أكثر إنسانية لبلده، متخذاً من حقوق الإنسان طريقاً لبناء دولة أكثر حرية وعدالة ومساواة، يسودها نظام ديمقراطي سليم.

بلال حسني

يخوض المصري بلال حسني في روايته «ككة الحمار الوحشي» (دار الكتب خان) مغامرة أدبيّة فريدة تتحدى أشكال السرد المستقرة، وتُلقي بنا في قلب عالم من الهواجس الحسّية والكوابيس. بلغة تكتسب شاعريتها من تلاعبها الرشيق المتوازن بين الفصحى وعاميّة شعبية تستلهم أهازيج وأغاني كباريهات وملاهي الإسكندرية. يحكي الراوي عن ثلاث رحلات قصيرة يقوم بها داخل المدينة، في الحي نفسه، وحتى داخل البيت نفسه، تغطي فترة حياته بأكملها. هذه الرحلات تكشف عن انندثار الماضي الجميل وتلاشي الأجواء القديمة بين أنقاض الأمس وبدايات زمن جديد. يصف لنا الإسكندرية التي تختلط فيها العصور والحقبات التاريخية، ويحكي عن أحيائها القديمة، حيث تتحول البيوت والمباني التي كانت مألوفة إلى ركام، وحيث تمحو معاول العمل والبلدوزرات آثار الماضي.

جان مارك دانيال

يُقدّم عالم الاقتصاد الفرنسي جان مارك دانيال في كتابه «تاريخ الاقتصاد العالمي» الصادر بترجمته العربية عن «دار الساقي» (ترجمة جلال بدلة) رؤية عن التاريخ الاقتصادي للعالم، منذ أصل الحضارات حتى العقدين الأولين من القرن الحادي والعشرين الحالي. يحوي الكتاب معلومات وبيانات وأمثلة غنية عن المسار المتشابك لرأس المال والعمل عبر التاريخ، ويستعرض العواقب الناجمة عن الأفعال المُضلّلة للبيروقراطيّين والتكنوقراطيّين ممّن يعملون على حساب القيمة التي يخلقها المنتجون الحقيقيون من عمّال ومُزارعين ومُقاولين ومُبتكرين. لا يقتصر الكتاب على مجرد سرد تاريخي للأفكار الاقتصادية وأنظمة العملات فحسب، بل يوضح للقرّاء، بعض المبادئ الأساسية للاقتصاد، مثل التوازن بين العرض والطلب، ودور الديموغرافيا في التنمية الاقتصادية، وحدود وفوائد تدخل الدولة.

أحمد عبد الحليم

يسع الكاتب والباحث المصري أحمد عبد الحليم في كتابه «تمثلات المجتمع المصري في الذات والجسد والهوية» (دار رياض الريس) إلى فهم تأثير الحياة العصرية المعولة على المجتمع المصري، وخصوصاً بعد التطورات الثورية والتغيرات التي شهدها الفضاء الاجتماعي والثقافي والنفسي والتكنولوجي. يتناول الكاتب المشاعر الإنسانية مثل السعادة والخوف ومن ثمّ ينتقل إلى قراءة وتفكيك الممارسات المُجتمعيّة في مصر وما وراء، تمثلات الصورة. كما يستكشف تمثلات أخرى ذات سياقات تاريخية متعددة، ويُحلّل كيف أثرت المنظومة النيوليبرالية على صناعة النوستالجيا والتمثلات المعاصرة للمهرجانات والرقص. ويتناول أيضاً تمثلات الاستهلاك في مجالات متعددة مثل الفن والرياضة والعلاقات الأسرية والثقافة والضحك مع قراءة الجسد وتمظهراته في سياقات السلطة والبطولة والنبذ والموت.

مجلة الحداثة

صدر العدد 228 (صيف 2023) من «مجلة الحداثة الأكاديمية الفصلية»، مركّزاً على «تحديّات التنوير والتعليم وتحسين الصلابة النفسية» في مجالات متنوعة مثل الإعلام، والتاريخ، والفنون، والآثار، والأدب. افتُتح العدد بمقال للباحث كامل فرحان صالح بعنوان «أمير الحداثة الشعرية في السعودية»، تلاه تحليل (دارين موسى حوماني) التغطية الإعلامية اللبنانية لقضية النزوح السوري في لبنان. تضمّن العدد أيضاً ملفاً عن ثقافة «التنوير» وتحديّات الأيديولوجيات المتطرفة ووضع المرأة في التشريعات الدينية (فرحان صالح). إلى جانب دراسة تحليلية (محمد أرسلان علي) عن مؤتمر القاهرة عام 1921 وتقييم ما تحقق من توصياته، وبحث آخر (شليطا فوزي بو طانيوس) عن السريان الأرثوذكس والياعقبة في بلاد ما بين النهرين منذ القرن الأول ميلادي حتى القرن الثامن. وخصص القيّمون ملفاً للفنون والآثار لمواكبة موضوعات التكنولوجيا والفن الرقمي الحديث والنقوش الصخرية وغيرها من المواضيع التربوية والنفسية.

أوراق

حول أصل اسم «مصر»

في الأعلى نجمة عناق، وفي الأسفل نجم السها وإلى اليمين النجم الصغير: المئزر

زكريا محمد *

تعتقد الغالبية الآن أن الاسم الغربي لنجمة عناق (ميزار Mizar) مأخوذ من اسم نجم صغير يُدعى المئزر يقع قرب نجمة عناق في ذيل بنات نعش الكبرى في شمال السماء: «الاسم التقليدي لنجمة ميزار مشتق من الاسم العربي: المئزر» (ويكيبيديا الإنكليزية). تضيف ويكيبيديا العربية: «المئزر يكتب بالإنكليزية Mizar وهو مشتق من الاسم العربي»... وأن هذا حصل بسبب الاعتقاد الخاطئ للمترجمين الأوروبيين القدماء عن العربية أنّ المئزر هو عناق.

وهذا غير صحيح في رأيي. فالاسم الأقدم لنجمة عناق هو الاسم القديم «ميزور» بتنويعاته المختلفة. أكثر من ذلك، فأنا أعتقد أن الاسم السامي لوادي النيل (مصر) قد اشتق من الاسم ميزار- ميزور. وإذا كان الاسم الغربي لمصر Egypt مشتقاً من «حكفت» اسم العاصمة المصرية في الدولة القديمة ممفيس، الذي هو اختصار لـ «حكفبتاح»، أي بيت بتاح، فإن الاسم السامي لمصر أتى من «ميزور»، أي من نجمة عناق. وقد ذكر الاسم «ميزور، ميسور» في غالب الأحيان مع قرين ذكر هو «صُدُق، أو صودوق». إذ جاء في تاريخ فيلو الجبيلي، الذي هو ترجمة لتاريخ سنخوناثان الفينيقي: «ومن هذين ولد أمونوس وماغوس، اللذان أوجدا القرى والرعي. ومنهما ولد ميسور Misor وصودوق (Richmond، Cory's Ancient Fragments، London، 1876. Page 9). ميسور هي ميزار. وقد ورد هذان الاسمان أيضاً في نصوص أوغاريت من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وبتوافق مع ما ذكره فيلو. ولدينا أيضاً زوجان بابليان هما ميسارو Mesaru وكيتو Kittu، حيث حلّ كيتو محلّ صودق. أما في العربية فالقرين الذكر لنجمة عناق، هو نجم السها. والسها يدعى الصِّيْدَق: «والصَّيْدَقُ، على مثال صَيْرف: النجمُ الصغير اللاصق بالوُسْطَى من بنات نعش الكبرى» (لسان العرب).

وعن هذا الصيدق، يقول أمية بن أبي الصلت:

«فيه النجوم تطيع غير مراحة
ما قال صيدقها الأمين الأرشد»

وكل هذا يدفع للاعتقاد بأنّ الاسم التوراتي «ملكي صادق»، الذي يعني: الملك صادق، على علاقة بالصيدق- صودق، وأنه كانت له قرينة أنثى في الأصل، وأن هذه القرينة كانت تدعى «ميسوري» أو «ميزوري». لكن لأنّ الديانة اليهودية ديانة ذكورية في المطلق تقريباً، فقد أبعدت من بيتها كل وجود للأنثى، وأزاحت قرينة ملكي صادق بعيداً في ما يبدو. يؤيد هذا أنّ هناك دلائل على وجود ما لميزار في الإصحاح الرابع لسفر إشعيا: «بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض» (الكتاب المقدس، إشعيا 11:4). وكلمتا «بالعدل» و«بالإنصاف» في الأصل العبري «بصدق» و«بميسار». بذا فهناك احتمال كبير جداً بأن هذه الجملة تعني فعلياً: «بل يحكم بالصيدق وبميسر»، أي يحكم بحكم هذين الإلهين: ميزار والصيدق.

وأخيراً، لا بد من لفت الانتباه إلى ما أخبرنا به أبيفانوس، وهو أنّ المصريين يسمّون شهر تشري باسم ميزوري Mesori: «وهكذا جعلت [الفرق المذكورة] ظهور القمر الجديد بعد رأس السنة، الذي يقع في الخريف، أي بعد شهر تشري، الذي يسمّى أوغست عند الرومان، لكنه يسمّى ميزوري Mesori عند المصريين، وغورفبانوس عند المقدونيين، وأبيليوس عن الإغريق. وهم يبدؤون سنتهم الجديدة في تلك النقطة، ويحتفلون به في أيام عيد الفطير مباشرة» (Epiphanius of Salamis، The Panarion، 2009، page 37-38).

إذن، فشهر تشري التوراتي ذاته يسمّى ميسوري، أو ميزوري، عند المصريين. وهذه واقعة تؤيد بقوة ما قلناه أعلاه. إذ يبدو أن هذا الشهر قد سمّي باسم «ميسوري» عند المصريين انطلاقاً من علاقته بالنجمة عناق- ميزار- ميساري. فهو شهرها الخاص.

بناء على ذلك، تكون نجمة «عناق» العربية هي نجمة «ميزار، ميزور، ميسوري، ميسور، ميسار». ومن اسم هذه النجمة أخذ اسم مصر السامي في ما نعتقد. ونجمة عناق- ميزار موجودة في بنات نعش الكبرى، وبشكل أدق فهي النجمة الوسطى في بنات نعش كما قلنا أعلاه. ويبدو أنها كانت تمثل إيزيس شمال السماء. فللإلهة الأنثى وجودان: وجود شمالي يمثل الخلود، أو الموت الخالد، ووجود جنوبي يمثل التجدد والانبعاث. أما وجودها الجنوبي فهو نجمة «سبدت» المصرية أسفل برج الجوزاء. وسبدت هذه هي نجمة إيزيس، وهي ذاتها نجمة الشعرى اليمانية العربية قرينة سهيل اليماني. وهي تدعى «سيريوس» في الغرب.

أما عناق، أو ميزور فاسمها مأخوذ من العناق، عناق المحبة، لأنها تحتضن الإله الذكر السها- أوزيريس حين يخرج من نعش بنات نعش، لكي تنعشه وتحييه، كما يبدو لي. لذا يسمى السها أيضاً نعيش، أي المنعش.

واسم «عناق» على علاقة بطائر العنقاء الخرافي المخيف. وجذر إخافته يكمن في أنّ نجوم شمال السماء الثانتة هي نجوم ترمز إلى الموت. صحيح أنه موت الخلود، لكنه موت في نهاية الأمر.

* شاعر وباحث فلسطيني (1950 – 2023)

مقال عبد الرحيم الشيخ على موقعنا

Samedi 19 Août 2023 no75
السبت 19 آب 2023 العدد 75

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

هل خالفت قبرص القانون؟ [2]

«عدالة» وهب الأعضاء [6 - 7]

بداية الحساب؟

[4 - 5]

مطلوب إلى القضاء الفرنسي والقضاء الألماني عبر الإنتربول بتهم تبييض أموال وتشكيل مجموعة أشرار (خاص القوس)

فلسطينية تحتفل بعيدها الـ17

عمر نشابة

نحتفل هذا الأسبوع بالعيد الـ17 لتأسيس جريدة «الأخبار»، ونستذكر أياماً وليالي جميلة قضيناها في مبنى «الكونكورد» خلال الأشهر القليلة التي تلت صدور العدد الأوّل في 14 آب 2006.

أذكر الاتصالات التي كان يجريها العديد من الأشخاص الذين نعرفهم أو لا نعرفهم ببعض العاملين في «الأخبار» لتقديم النصائح والحضّ على ترك الجريدة لأنها «مشروع فاشل». أذكر مراقبة وتنصّت بعض أجهزة المخابرات على الجريدة وكل من يعمل فيها. كما أذكر غضب بعض السياسيين بسبب عرضها معلومات عنهم لم تألف الصحافة اللبنانية نشرها.

أذكر أن نقاشات جوزيف وابراهيم وبيار كانت تطغى على اجتماعات التحرير في غرفة أشبه بغيمة من كثافة دخان سجائر الموجودين الشاردين بالأفكار والتحليلات، والحالمين بالأعداد القادمة والأيام الآتية التي قد تحمل معها أخباراً سارة من الجنوب. من جنوب الجنوب حيث ننتمي.

نعم، «الأخبار» تنتمي لفلسطين. هي جريدة فلسطينية وهذا شرف لنا. لذا لا استغراب أو تعجّب من الانعزاليين الذين استهدفوها بشعار «لبنان أولاً» ظناً منهم أن ذلك يحرجنا. ففلسطين قضية «الأخبار» المركزية، نفديها بكل ما لدينا.

وصحيح أن في جريدة «الأخبار»، كما في ملحق «القوس»، أقسام مخصّصة لـ«البلاد»، إلا أننا نسعى بأن تكون فلسطين في كل الصفحات.

نريد إدخال فلسطين في كل انشغالاتنا واهتماماتنا ونشاطنا الإعلامي والسياسي والاقتصادي والثقافي. ففلسطين ليست مجرد بلد أو منطقة جغرافية أو دولة... فلسطين جلجلة الحق.

عندما نتحدث عن فلسطين قد يظن البعض أننا نهتم بشؤونها أكثر من لبنان وهذا لغط شائع.

فلسطين قضيتنا لأننا نريد للبنان أن يحيا ويتعافى وينهض.

فلسطين امتحان القيم ولا أعتقد أن قيامة الوطن، أيّ وطن، ممكنة دون هذه القيم.

متابعة

اعادت قبرص نحو 100 سوري إلى لبنان الاسبوع الماضي. ما اثار تساؤلاً عن سبب إعادتهم إلى لبنان وليس إلى موطنهم سوريا. في الوقت نفسه، اعربت المفوضية السامية للامم المتحدة لشؤون اللاجئين عن «القلق العميق» بشأن الإجراء الذي اتخذته قبرص، من دون ان يُصار إلى تحديد ما إذا كان المهاجرون في حاجة إلى حماية قانونية او يمكن ان يُرحلوا إلى وطنهم. كما اشار مكتب المفوضية في قبرص إلى ان عمليات الترحيل والنقل بين الدول «من دون ضمانات قانونية وإجرائية للاشخاص الذين قد يحتاجون إلى حماية دولية» تتعارض مع القانون الدولي والقانون الاوروبي. فإعادة المهاجرين إلى لبنان لا يمكن ان تكون قرارا تملكه دولة منفردة، إذ عليها ان تراعي «بروتوكول مكافحة تهريب المهاجرين عن طريق البر والبحر والجو المكمّل لاتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الجريمة عبر الوطنية»

(أ ف ب)

إعادة لاجئين سوريين إلى لبنان
هل خالفت قبرص القانون؟

صادق علوية

في 2002/9/26، وقّعت الحكومة اللبنانية ممثلةً بالقائم بالأعمال في بعثة لبنان الدائمة لدى الأمم المتحدة في نيويورك بروتوكول مكافحة تهريب المهاجرين عن طريق البر والبحر والجو، المكمّل لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية، والذي يهدف إلى منع

> **إعادة المهاجرين إلى لبنان لا يمكن ان تكون قرار دولة منفردة من دون مراعاة البروتوكول**

ومكافحة تهريب المهاجرين، وتعزيز التعاون بين الدول الأطراف تحقيقاً لتلك الغاية، مع حماية حقوق المهاجرين المهرّبين. ومنح مجلس النواب الإجازة للحكومة بالانضمام إلى البروتوكول بموجب القانون الرقم 681 تاريخ: 2005/08/24.

ويتعيّن على كل دولة طرف أن تعتمد، وفقاً لبنود المادة 6 من البروتوكول، ما يلزم من تدابير تشريعية وتدابير أخرى لتجريم الأفعال الآتية:

1. تهريب المهاجرين.
2. القيام بغرض تسهيل المهاجرين، بما يلي:

أ. إعداد وثيقة سفر أو هوية انتحالية.

ب. تدبير الحصول على وثيقة من هذا القبيل أو توفيرها أو حيازتها.

3. تمكين شخص، ليس مواطناً أو مقيماً دائماً في الدولة المعنية من البقاء فيها بدون التقيد بالشروط اللازمة للبقاء المشروع في تلك الدولة.

4. تنظيم أو توجيه أشخاص آخرين لارتكاب أو الشروع في ارتكاب أو المشاركة كطرف متواطئ في جرم من الجرائم المذكورة أعلاه.

كما يتعيّن عليها، من دون الإخلال بالتعهدات الدولية في ما يتعلق بحرية حركة الناس، أن تعزز الضوابط الحدودية إلى أقصى مدى ممكن، بقدر ما يكون ذلك ضرورياً لمنع وكشف تهريب المهاجرين (المادة 11).

تفي الدولة اللبنانية، وفق إمكاناتها، بالتزاماتها الدولية تجاه هذا البروتوكول. فعلى سبيل المثال، سبق أن أوقفت دورية من مديرية المخابرات تؤازرها وحدة من الجيش في بلدة الشيخ زناد - عكار، الأسبوع الماضي، 130 سورياً و4 مواطنين لمحاولتهم التسلّل عبر البحر بطريقة غير شرعية في اتجاه إحدى الدول الأوروبية، كما أوقفت الرأس المدبّر للعملية (ش. س.). وبوشر التحقيق مع الموقوفين بإشراف القضاء المختص، وفق ما أفادت قيادة الجيش - مديرية التوجيه في بيان لها.

يجرّم لبنان الهجرة غير الشرعية بموجب قانون العقوبات، ويجرّم قانون معاقبة جريمة الإتجار بالأشخاص الرقم 164 تاريخ 2011/08/24 مهرّبي المهاجرين وفقاً لنص المادتين 335 و586، (راجع «الأخبار»، 9 أيار 2022). «قانون الإتجار بالأشخاص يجرّم مهرّبي المهاجرين».

وبالتالي، يعدّ لبنان ملتزماً بالمادة 6 من البروتوكول المُشار إليه، التي تنص على أنه يتعيّن على كل دولة طرف أن تعتمد ما قد يلزم من تدابير تشريعية وتدابير أخرى لتجريم هذه الأفعال في حال ارتكابها عمداً ومن أجل الحصول، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، على منفعة مالية أو منفعة مادية أخرى. وكذلك بالمادة 7 التي تنص على أنه يتعيّن على الدول الأطراف أن تتعاون إلى أقصى مدى ممكن على منع وقمع تهريب المهاجرين عن طريق البحر.

كيف يُفترض ان تتعامل الدول مع المهاجرين بحراً؟

تنص المادة 18 من البروتوكول على أصول إعادة المهاجرين المهرّبين، إذ يقتضي:

1. أن تتقدم الدولة المُهرَب إليها بطلب إلى الدولة التي هرب منها المهاجرون وليس بقرار من طرف واحد.

2- على الدولة الطرف، مُتلقية الطلب، وهي لبنان، أن تتحقق، من دون إبطاء لا مسوّغ له أو غير معقول، مما إذا كان الشخص الذي كان هدفاً للتهريب من مواطنيها أو يتمتع بحق الإقامة الدائمة في إقليمها أو غير معقول، إعادة الشخص الذي كان هدفاً لسلوك تهريب الأشخاص والذي هو من مواطنيها أو يتمتع بحق الإقامة الدائمة في إقليمها وقت إعادته. في حين أن الأشخاص المهربين ليسوا لبنانيين ولا يتمتعون بحق الإقامة الدائمة فيه.

4- يتعيّن على كل دولة طرف أن تنظر في إمكانية تيسير وقبول إعادة أي شخص كان هدفاً لسلوك تهريب الأشخاص وكان له حق الإقامة الدائمة في إقليمها، وقت دخوله إلى الدولة المستقبلة وفقاً لقانونها الداخلي. ووفقاً للقانون المتعلّق بالدخول إلى لبنان والإقامة فيه والخروج منه (تاريخ 10/7/1962)، فإن هؤلاء الأشخاص لا يقيمون بصورة قانونية.

5- أن تتّخذ التدابير المناسبة بالتوافق بين الدولتين على نحو منظّم ومع إيلاء الاعتبار الواجب لسلامة ذلك الشخص وكرامته.

6- لا يجوز أن تمسّ هذه المادة بأي حق يمنحه أي قانون داخلي لدى الدولة الطرف المستقبلة للأشخاص الذين كانوا هدفاً للتهريب.

من جهة أخرى، فإن أي نزاع ينشأ بين دولتين أو أكثر من الدول الأطراف بشأن تفسير أو تطبيق هذا البروتوكول، وتتعذّر تسويته عن طريق التفاوض في غضون فترة زمنية معقولة، يجب تقديمه، بناء على طلب إحدى تلك الدول الأطراف، إلى التحكيم.

تجدر الإشارة إلى أنه سبق للمتحدث باسم المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة في قبرص أن قال لوكالة «فرانس برس» إن «أيّ شخص على متن قارب يطلب اللجوء يجب أن يُسمح له بالدخول، على الأقل بصورة مؤقتة لدرس طلبه». فهل وافقت الحكومة اللبنانية على الإعادة من دون أي طلب؟ هذا الأمر يستدعي التمحيص فيه.

تحت القوس

تحوّلات الجريمة
مؤشرات مقلقة

جنان الخطيب

بعدما كانت سرقة سياج حديدي من المقابر أو أسلاك كهربائية أو مضخات مياه لبيعها مقابل بضعة دولارات «موضة»، وجرائم النشل وتهريب المخدرات والسرقة «بزنس عائلياً»، وبعدما نمت عصابات منظّمة تقوم بعمليات سطو مسلح وخطف وقتل، تراجعت نسب جرائم القتل والسرقة والنشل وفقاً لإحصاءات قوى الأمن الداخلي خلال الأشهر السبعة الأول من السنة، ونشطت جرائم الاتجار بالبشر والتحرّش والاستغلال الجنسي للأطفال، وأخيراً «القتل المأجور».

هذه الأنواع من الجرائم تحتاج إلى استجابة سريعة من الدولة ومعها أجهزة إنفاذ القانون التي تعمل باللحم الحيّ لتكثيف جهودها وقدراتها، إضافة إلى ضرورة رفع الوعي المجتمعي بأهمية التمسّك بالقيم الأخلاقية والقواعد الاجتماعية الرادعة.

من جرائم تعنيف الأطفال في حضانة Garde rêve، في منطقة الجديدة، وجرائم تحرش ودعارة وبيع أطفال في جمعية «قرية المحبة والسلام»، وجرائم تحرش واغتصاب وتجويع في «بيت اليتيم» ورمي الأطفال في الشوارع وغيرها من جرائم مشابهة شهدها المجتمع اللبناني أخيراً، يبدو أن الآتي أعظم.

في بلد يرزح تحت وطأة أزمات اجتماعية واقتصادية معقدة، ويتخبّط سياسياً وطائفياً، ضمانته الوحيدة روابط أسرية رادعة وقيم اجتماعية وقواعد سلوكية أخلاقية مهددة أيضاً بالتدهور في ظل الانحلال الأخلاقي الذي بدأ يعصف في المجتمع.

وترتكز مناقشات عدة وتقارير حول الجريمة على ما يمكن لقوى إنفاذ القانون ونظام العدالة الجنائية القيام به. علماً أن تطبيق القانون يلعب دوراً أساسيّاً في الحدّ من الجريمة، لكن غالباً ما تكون هناك تحديات ومشكلات أعمق لا تستطيع الشرطة معالجتها، كالتضخم والأزمات الاجتماعية وتداعيات أزمة النازحين وغيرها. إذ تطرح التغييرات الاجتماعية والانهيار الاقتصادي والعولمة والتكنولوجيا تحديات تمتد إلى ما وراء مناهج منع الجريمة التقليدية.

مع التقدم التكنولوجي وظهور أشكال جديدة من الجريمة، خلقت فرصاً جديدة للمجرمين كسرقة الهوية، والابتزاز الإلكتروني، وغسيل الأموال، والتنمّر وغيرها... يشهد لبنان تغييرات في ممارسات وأساليب ارتكاب الجرائم. حيث تطورت طبيعة الجرائم لتأخذ وجهاً آخر يواكب الصعوبات المالية والاقتصادية، وتزدهر مع التسرّب المدرسي و«فلتان» الأطفال في الشوارع.

لا شك في أن الطرق التي بدأ يلجأ إليها المجرمون لجني الأرباح أصبحت أكثر «إبداعاً». فلم تعد تقتصر السرقات على الأموال والمجوهرات والسيارات، بل تشمل كل ما له قيمة مالية بما في ذلك البنية التحتية. والخطير، هنا، أن الأساليب التي تعدّت سرقة الممتلكات العامة والخاصة، وصلت إلى حدّ القتل مقابل أرباح مادية. فقد صدر أخيراً بيان عن قوى الأمن الداخلي يشير إلى توقيف قاتل مأجور نفّذ جريمة قتل في بلدة عين عنوب مقابل مبلغ مالي وليرات ذهبية. ما يُنذر بالأخطر، فجرائم «القتل التعاقدية» تميل إلى الازدهار في بيئات الجريمة المنظّمة، حيث تستخدم الشبكات الإجرامية قتلة مأجورين لتحقيق مصالح سياسية واقتصادية وجنائية، وبالتالي تُمكّن الفاعلين من حفظ سيطرتهم على المجتمعات.

في حين أن لكل شخص أسبابه الفريدة وظروفه الحياتية الخاصة التي تدفعه نحو السلوك الجنائي، إلا أن الأزمة الاجتماعية تفرض نفسها بقوة على طبيعة الجريمة في لبنان. فمع ازدياد معدلات الفقر والبطالة وارتفاع نسب التسرّب المدرسي، ينتشر الأطفال في الأزقّة والشوارع وفي الأحياء الموبوءة التي يمكن أن تؤثر سلباً على قيمهم الأخلاقية وتزيد من احتمال انخراطهم في الأعمال الإجرامية أو وقوعهم ضحايا لجرائم العنف والاستغلال الجنسي.

إذ تهيّئ الشوارع في لبنان كل ما يحتاجه الـ«بيدوفيل» لتنفيذ جرائمهم وممارسة فجورهم، حيث ينتشر الفتيان والفتيات القصّر لبيع المناديل الورقية أو الورود بين السيارات عند الإشارات الضوئية، معرضين أنفسهم لخطر التحرش الجنسي، بينما يقع البعض الآخر في فخ الدعارة. (راجع «القوس»، إنفوغرافيك، «بيدوفيليا»).

ومع ازدياد أعداد الأطفال والمراهقين في الشوارع والانهيار الاقتصادي المستمر ولجوء البعض إلى «التطنيش» عن السلوكيات غير الأخلاقية والجرمية مقابل مردود مالي، هل سيصبح لبنان بيئة خصبة لجرائم المضطربين جنسياً؟

تقبّل الآخر لا يعني أن يتقبّل الفرد سلوكيات الآخرين التي يعدّها خاطئة، إنّما أن يتقبّلهم كبشر لهم الحق في الحياة والاحترام (راجع «القوس»، 27 آب 2022، «مشكلة عدم تقبّل الآخر»)، لكن الانفصال عن المعايير الأخلاقية والدينية الرادعة وتحوير المفاهيم والقواعد الاجتماعية سيؤدي إلى ارتفاع متزايد في الجرائم.

«قالو للكذّاب إحلف قال إجا الفرج» ينطبق هذا المثل الشعبي تماماً على الواقع في لبنان. فالفرج عند بعض اللبنانيين يكون عبر إصدار أحكام مسبقة «مبرمة» في أي جريمة يمكن استغلالها في إطار تحريضي وطائفي عبر إطلاق اتهامات سياسية بحتة، من دون اللجوء إلى الإجراءات القانونية الواجبة والتحقيقات العلمية الدقيقة. آخر تلك الجرائم كانت مقتل الياس الحصروني، عضو مجلس مركزي في حزب «القوات اللبنانية»، في منطقة بنت جبيل، حيث سارع البعض إلى إطلاق الاتهامات والإدانات قبل رفع الأدلة من مسرح الجريمة وبدء التحقيق الجنائي.

فإذا كانت هناك نية فعلية للوصول إلى حقيقة علمية حول الجاني وتسلسل الأحداث الجرمية، من المفترض الانتظار ريثما تختم التحقيقات ويصدر الحكم من المحكمة المستقلة، إلّا أنه يبدو أن إلصاق التهم بمن «جسمه لبّيس» فرجٌ لبعض اللبنانيين.

الضابطة العدلية

الأمن العام اللبناني لحماية الوطن والإنسان
هل «الإخضاء» قانوني؟

فداء عبد الفتاح

قد نجد لإجراءات الأمن العام مبررات أمنية، إذ يعدّها الجهاز من ضمن مهامه في الحفاظ على الأمن والسلامة العامة، وهي مُتّبعة في كل دول العالم، ولأي بلد الحق في أن يضع معاييره الخاصة للسماح لغير مواطنيه بالدخول إلى البلاد. لكن، كيف لنا أن نجد تبريراً لما يسمّى

> **للكشف عمّا هو مزروع داخل جسم الإنسان من دون تجريده من ملابسه وانتهاك خصوصيته**

«مذكرة إخضاع» أو «مذكرة تفتيش» التي تصدر عن جهاز الأمن العام اللبناني بحق أي لبناني أو أجنبي من دون تبرير؟ وخصوصاً أن هذا الإجراء يسبب الإحراج لعناصر الأمن العام كما للشخص الذي يخضع له. وكيف نفسّر وجود هذه المذكرة في بلد يعدّ نظامه «ديمقراطياً»؟ وهل يحقّ لجهاز أمني أن يمنع مواطناً من دخول مباني الأمن العام لإنجاز معاملة أو للاستحصال على جواز سفر؟.

ظهر تدبير إداري جديد سمّي «تدبير التفتيش»، بعد توقف مذكرات الإخضاع إثر الضجة الكبرى التي أثارها عدد من المحامين. يصدر هذا التدبير عن المدير العام للأمن العام بحق أشخاص لبنانيين أو أجانب من دون تعليل أو تبليغ مسبق، ومن دون حق الاعتراض. إذ يبلّغ الصادر بحقه هذا التدبير في أثناء مغادرته أو دخوله البلاد عبر مطار بيروت، فيخضع لتفتيش مهين من قبل جهاز الأمن العام لمدة تتجاوز الثلاث ساعات، قد تفوته الرحلة بسببها. ولا يقتصر هذا التفتيش على الأغراض الشخصية كحقائب السفر والحاجيات إنما يتعداه إلى التفتيش الجسدي الدقيق حيث يطلب من الشخص خلع ملابسه كاملة حتى الداخلية، من دون إخباره ما السبب أو عمّ يبحثون.

عانت ريتا (اسم مستعار)، ابنة الـ30 عاماً من هذا الإجراء على مدى أربع سنوات. رغم مراجعاتها المتكررة للمديرية العامة للأمن العام لمعرفة أسباب هذا التدبير، واضعةً نفسها تحت سقف القانون وإحالتها إلى أي جهاز أمني آخر أو إلى القضاء للتحقيق معها في السبب الذي أدى إلى صدور هذا القرار بحقها، ظلت تعاني التفتيش لأكثر من أربع ساعات كلما غادرت لبنان أو عادت إليه. مع العلم أنها تعاني مرضاً مزمناً، لم يشفع لها طبلة هذه المدة، بعدم إجبارها على خلع ملابسها بالكامل وحتى ملابسها الداخلية. تتشارك ريتا مع فيوليت (اسم مستعار)، وهي مواطنة سورية تعمل في إحدى الدول العربية وتمر عبر لبنان بشكل دوري للذهاب إلى عملها، حيث تخضع لتفتيش دوري على الحدود اللبنانية البرية وفي المطار بسبب بلاغ أمني بحقها لم تعرف أسبابه، رغم تقديمها طلبين للاستيضاح عبر وكيلها القانوني ووضع نفسها بتصرف جهاز الأمن العام والقضاء اللبناني للتحقيق معها حول أي شبهة قد تكون واردة بحقها. ورغم خضوعها للتفتيش وتأخيرها في المطار لأكثر من ثلاث ساعات في كل مرة، لم يسجّل بحقها أي مخالفة من أي نوع كان. وفي خلال مراجعتها للأمن العام، كان الجواب أن عليها الانتظار ليمر أكثر من عشر مرات تفتيش لتتمكن من تقديم طلب رفع تدبير تفتيش، لكن طلبها رُدّ مرتين ولم تصل إلى نتيجة أو جواب يبرر أو يشرح سبب هذا التدبير أو كيفية رفعه.

اطر امنية للدخول

يعدّ جهاز الأمن العام اللبناني من أجهزة الضابطة العدلية التي لها حق توقيف أي مطلوب بمذكرة قضائية والتحقيق معه وإحالته إلى المرجع القضائي المختص. ويستند الأمن العام في قراراته الإدارية المتعلقة بالأجانب إلى قانون «الدخول إلى لبنان والإقامة فيه والخروج منه» الصادر بتاريخ 10 تموز 1962، لتنظيم الدخول إلى لبنان والإقامة فيه. ويحدد في المادة 17 منه، منع أي أجنبي من الدخول إلى لبنان في حال كان وجوده يشكل ضرراً على الأمن والسلامة العامين. ووفق نص المادة، يجري إخراج الشخص المعني إما بإبلاغه بوجوب مغادرة لبنان خلال مهلة معيّنة أو بترحيله إلى الحدود بواسطة قوى الأمن الداخلي. ويجب أن يبلّغ وزير الداخلية فوراً صورة عن هذا القرار الذي يصدر عن المدير العام لأمن العام. يؤخذ قرار منع الدخول أيضاً لأسباب شكلية كتأخّر الأجنبي عن تجديد أوراق إقامته، أو تأخره في إيجاد كفيل لإقامته كعامل، أو في بعض الجرائم الجنحية أو الجنائية التي قد يدان بها أي أجنبي. إذ يُختم باسم المدير العام قرار المنع على جواز السفر. وتتراوح المدة بين السنة والخمس سنوات في كل الحالات، من دون أي إمكانية للاعتراض على القرار. من دون تعليل أو تحديد آلية واضحة للاعتراض على هذا القرار أو اتخاذ أي إجراء قضائي برفعه.

حجز جواز السفر

لا يوجد ضمن مهام الأمن العام اللبناني أو ضمن آلية العمل التي ينشرها على موقعه الخاص أي ذكر لمذكرة الإخضاع وأسباب صدورها وآليات رفعها. كل ما يعرف عنها أنها قرار يتّخذه المدير العام حصراً ومن دون تعليل، بمنع أي مواطن أو مُحام من دخول مباني الأمن العام لإجراء أي معاملة بما فيها الاستحصال على جواز سفر. وبسابقة معروفة مع رئيس الفكرة القانونية، المحامي نزار صاغية، الذي صدر بحقه مذكرة إخضاع وحجز جواز سفره، فلجأ إلى قضاء العجلة للطلب من الأمن العام تسليمه جواز السفر المحتجز ومعرفة أسباب الاحتجاز، فلم يكن من الأمن العام حينها إلا أن سلّمه جواز السفر من دون أي توضيح لأسباب الاحتجاز أو لأسباب صدور مذكرة الإخضاع، وهذا يدلّ على عدم قانونية مذكرة الإخضاع، وعدم قانونية احتجاز جواز سفر من دون أي قرار قضائي يعلل ذلك، كمنع السفر في بعض الجرائم.

رغم صدور قرار في العام 2014 عن مجلس الوزراء بإلغاء مذكرات الإخضاع ووثائق الاتصال جميعها، إذ باتت هذه المذكرة مادة للاقتصاص من الناشطين والمحامين والفنانين، إذ يُفاجؤوا بالمذكرة في خلال تجديد جوازات سفرهم حيث يحتجز بموجب قرار إداري غير معلل ومن دون إعطاء الصادر بحقه هذا القرار حق الدفاع عن نفسه أو الاعتراض عليه وفق آلية محددة، فيضطر إلى اللجوء إما إلى قضاء العجلة وإما إلى الأسلوب اللبناني عبر المعارف السياسية أو الأمنية لفك حجز جواز السفر.

لحل اقل كلفة واجراحاً

لتوفير الوقت والعناصر والإحراج والإهانة ومخالفة القوانين وانتهاك حقوق الإنسان عند التأكد من أي مخالفة قد يرتكبها أي فرد يدخل إلى الأراضي اللبنانية، هذا إن كان الهدف من مذكرة التفتيش هو الأمن العام للوطن والمواطنين وليس الاقتصاص من الناس عبر معلومة يسجلها مخبر ما لغايات تتنوع بين حالة وأخرى، لا بد من توفير جهاز «سكانر» (ماسح ضوئي للجسم) قد لا تتجاوز تكلفته المئتي ألف دولار، بإمكانه الكشف عمّا هو مزروع داخل جسم الإنسان من دون تجريده من ملابسه وانتهاك خصوصيته، إذ بات من الملحّ والضروري توجيه إنفاق الهبات والأموال التي تُدفع لمختلف الأجهزة الأمنية، بهدف تطوير عمل هذه الأجهزة لمواكبة التطور السريع في العالم، بالشكل الصحيح الذي يعطي لمأذلة مهمات لم يعد مقبولاً القيام بها من قبل العناصر البشرية، التي يفترض أن تكون موجودة في أماكن أخرى للقيام بمهام تتطلب وجود عناصر بشرية أكثر لإنجازها.

(هيثم الموسوي)

بروتوكول مكافحة تهريب المهاجرين عن طريق البر والبحر والجو المكمّل لاتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية

المختبر الجنائي

«يحتوي التقرير على أدلة تمهّد الطريق لملاحقات قضائية أمام المحاكم المختصّة، واقتراحات لتدابير يفترض اتخاذها لمنع تكرار الجرائم المالية للمصرف المركزي في المستقبل»، ربما كان هذا رجاء غالبية من سمع بتقرير التدقيق الجنائي لحسابات مصرف لبنان، الذي تأخر إصداره تسعة أشهر عن الموعد المحدّد مسبقاً (2022) من قبل شركة (A&M). ليصبح مادة للتداول الواسع بعد نشره وتعميمه مطلع الأسبوع المنصرم. فهل يتحقق فعلاً هذا الرجاء؟

أدلّة تقرير التدقيق الجنائي بداية الحساب؟

(انجل بوليغان ـ المكسيك)

صادق علوية

قدّمت شركة «ألفاريز أند مارسال» (Alvarez & Marsal) تقريرها -الذي سمّته تقريراً مبدئياً- باعتباره التقرير الذي سيقطع الشكّ باليقين حول مصير الودائع والأموال المنهوبة. إلا أنه لم يكن بحجم التوقّعات. فاللبنانيون الذين ينوؤون تحت وطأة أكبر أزمة اقتصادية مرّت عليهم، كانوا يظنّون أن التدقيق الجنائي سيشكّل الحجر الأساسي للمحاسبة (راجع «القوس»، 11 آذار 2023، «تقنيات التدقيق الجنائي»). قد يكون هذا الأمر صحيحاً في كثير من البلدان، إلّا في لبنان، إذ إن أي تدقيق جنائي في أي إدارة عامة سيُظهر تجاوزات قانونية لرأسها، وتحكّمه بالإدارة أو المؤسّسة كيفما يشاء، يشتري ويتبرّع ويقدّم الهدايا ويعقد الصفقات من مال اللبنانيين، وكأن الملك العام ملك خاص له.

أبرز الملاحظات حول التقرير

1. تقرير التدقيق الجنائي «الأوّلي»، هكذا عنونت الشركة التقرير، وليس معلوماً السبب الذي جعله تقريراً أولياً لا نهائياً.
2. لم يتضمّن التقرير تدقيقاً في التحويلات المالية التي جرت بين عامَي 2019 و2020 رغم أنه يفترض أن تكون مشمولة بفترة التدقيق الجنائي المطلوب.
3. كرر التقرير بيانات سبق أن أعلنها مصرف لبنان، ولم يظهر أي جديد بشأنها.
4. نقص في المعلومات ومنها البيانات المطلوبة حول التحويلات، والتي قال التقرير إنه يقتضي إحضارها ولم يقم بذلك.
5. تضمّن تحليل الهندسات المالية بنداً حول حسابات الحاكم السابق رياض سلامة، في حين أن حساباته الشخصية وحسابات كبار الموظفين التنفيذيين في المصرف يجب أن تكون موضع تدقيق في فصل خاص.
6. تحليل النفقات التشغيلية للمصرف، رغم أهميتها، ليست هي بيت القصيد. فالمشكلة لا تكمن فقط في هدر 50 مليون دولار، أو في شركة يقتضي إدارتها بجدية لتربح، إنما تتعلق بسياسة مالية ونقدية من قبل مصرف لبنان أضاعت ما يزيد على 73 مليار دولار، وهذا ما يفترض الإجابة عنه.
7. أظهر التقرير غياب التعاون الكامل من مصرف لبنان رغم صدور قانون برفع السرية المصرفية لغايات هذا التدقيق.
8. طلبت الشركة مقابلة 47 موظفاً من المصرف فطلب الأخير خفض العدد إلى 9 فقط.
9. لم يسمح للشركة بالاجتماع مع الموظفين واقتصرت المقابلات على المراسلة الكتابية. إذ أرسلت الشركة أسئلة مكتوبة إلى 14 موظفاً في 31 تشرين الأول 2022 وتلقّت رداً مكتوبة منهم في 13 شباط 2023 (بعد أربعة أشهر).
10. أزيل جزء من بيانات التحويلات المالية قبل تسليمها للشركة بحجة قانون السرّية المصرفية، وقد حدّ هذا من قدرتها على تحديد المستفيد النهائي من التحويلات المالية، مع أن التقرير يورد أن الشركة أبلغت من وزارة المالية بأن القانون علّق السرّية المصرفية ما يسمح لها بالولوج إلى البيانات.
11. زوّد مصرف لبنان الشركة بعدد من البيانات من دون جداول، أي على شاكلة نصوص غير منسّقة unformatted رغم أنها أرقام، ما استدعى إنشاء قاعدة بيانات لها من جديد.
12. نقل مصرف لبنان الكلفة إلى الخزينة العامة بهدف تجنّب تسجيل الخسائر والاعتراف بها.
13. نقل بيان الوضع الموجز لمصرف لبنان الذي ينشره المصرف وجمع محتوياته من دون أي تعديل من الشركة.

> أزيل جزء من بيانات التحويلات المالية قبل تسليمها للشركة المدققة بحجة السرّية المصرفية

> لم يسمح للشركة بالاجتماع مع الموظفين واقتصرت المقابلات على المراسلة الكتابية

الاحتياطات الاجنبية

في الفترة الممتدة بين 2015 و2020 تدنّت موجودات مصرف لبنان من العملات الأجنبية، وانتقل مصرف لبنان من فائض في العملات الأجنبية قدره 10,7 تريليون ليرة لبنانية (7,2 مليار دولار أميركي) إلى عجز في العملات الأجنبية قدره 76,4 تريليون ليرة لبنانية (50,7 مليار دولار أميركي).

حسابات رياض سلامة

أظهرت تحليلات الشركة للحسابات المملوكة من رياض سلامة بأنها تلقّت أرصدة الاعتمادات إلى حد كبير في شكل إيداع شيكات مصرفية، صافية من تحويلات العملات الأجنبية إلى 23 تحويلاً بين الحسابات، بقيمة 98,8 مليون دولار أميركي، خلال فترة المراجعة التي تبلغ 6 سنوات بمتوسط 16,5 مليون دولار أميركي سنوياً.
جرى تتبع 75 مليون دولار أميركي من خلال سجلات جمعية الاتصالات المالية العالمية بين البنوك (SWIFT) إلى 23 بنكاً في سويسرا، وألمانيا، ولوكسمبورغ، والمملكة المتحدة، ولبنان، والولايات المتحدة وفرنسا. تحتاج الشركة إلى مزيد من التحقيقات لتأكيد مصدر هذه الشيكات وتحديد المستفيدين النهائيين من التحويلات الخارجية.

اتفاقات «تلبيس طرابيش»

من الاتفاقات التي تتضمّن بيعاً وشراء للسندات الحكومية مع حفظ حق العمولة للعميل، ورد ما يلي:
1. تشتري شركة Societe Financiere Du Liban SAL سندات الخزينة بالقيمة الاسمية 228,000,000,000 ليرة لبنانية (151,243,781 دولار أميركي).
2. يشتري مصرف لبنان سندات الخزينة من Societe Financiere Du Liban SAL بالقيمة الاسمية.
3. يبيع مصرف لبنان 55,619,170,000 ليرة لبنانية (36,894,972 دولار أميركي) من سندات الخزينة إلى Optimum Invest SAL بالقيمة الاسمية.
4. أعاد مصرف لبنان على الفور شراء نفس سندات الخزينة من Optimum Invest SAL مع علاوة قدرها 18,743,660,290 ليرة لبنانية (12,433,605 دولار أميركي).
5. يُحوّل القسط الإضافي وقدره 18,743,660,290 ليرة لبنانية (12,433,605 دولار أميركي) (المدين) من حساب مقاصة العمليات المالية (RTGS) والاعتماد على حساب الاستشارات، وزيادة الرصيد الدائن في الحساب.

تقرير التدقيق الجنائي الأوّلي - مصرف لبنان

55 ألف دولار لتبديل «جاكوار» الحاكم

قدّمت شركة Saad & Trad SAL، وفق التقرير، عرض أسعار لـ«جاكوار XJ 2016»، بسعر إجمالي قدره 105,000 دولار أميركي، ويشمل حسم قيمة سيارة «جاكوار 2012» بقيمة 50 ألف دولار ليدفع المصرف المركزي 55 ألف دولار مقابل تبديل سيارة الحاكم القديمة بواحدة أحدث. ويفيد التقرير أن المصرف اشترى سيارة «جاكوار Jaguar XE 2017» ثانية لم يتّضح سبب الحاجة اليها.
(للاطلاع على جداول إضافية لنفقات المصرف «غير المناسبة»، راجع صفحة 8، «وين المصاري؟»)

333 مليون دولار لشركة «فوري»

أرسلت مدفوعات يبلغ مجموعها 333 مليون دولار أميركي بين نيسان 2002 وآذار 2015 من أحد حسابات مصرف لبنان ورقمه: IBAN LB020999000000001001260632009 لحساب HSBC (سويسرا) (SA - HSBC) الذي يحمل اسم «فوري» (Forry Associates Ltd)، الشركة التي أُفيد بأنها مملوكة لشقيق الحاكم رجا سلامة، وهي مسجلة في جزر فيرجن البريطانية (BVI).
سُدّدت المدفوعات بموجب اتفاق 6 نيسان 2002 بين مصرف لبنان وشركة «فوري»، فقامت الأخيرة بدور «وكيل طرح منتجات مصرف لبنان»، وحصلت على عمولة عبارة عن 8/3 من 1% من قيمة المعاملات في سندات «اليوروبوند» اللبنانية، وعدد من العمليات التي يجريها المصرف المركزي الذي يفيد بأن ذلك جرى بموافقة المجلس المركزي في 26 كانون الأول 2001.

الهندسات المالية

يشير التقرير إلى مراحل ثلاث وفقاً لمعطيات مقدّمة من مصرف لبنان:

الأولى
موافقة المجلس المركزي على إجراء الهندسات المالية في قرار اتخذه في اجتماعه بتاريخ 7 كانون الثاني 2015.

الثانية
- نفّذ مصرف لبنان برنامجاً جديداً للهندسة المالية، عام 2016، لجذب الدولار الأميركي إلى لبنان.
- دُفعت مبالغ بالليرة اللبنانية من محفظة المصرف مقابل إصدار حديث لسندات «اليوروبوند».
- جدولة للديون بموافقة المجلس المركزي على إجراء هذه المرحلة من الهندسات بقرار اتخذه في اجتماعه في 27 نيسان 2016.
- قيمة السندات ستكون مليارَي دولار أميركي.
- الفائدة والاستحقاق على سندات «اليوروبوندز» المكتتب بها سيحددها الحاكم لاحقاً.

الثالثة
نفّذ مصرف لبنان هندسة مالية ثالثة بموجب موافقة المجلس المركزي في 22 شباط 2017.
يخلص التقرير إلى أن المصرف المركزي بمجلسه المركزي وحاكمه يفتقر إلى معايير الحكم الرشيد.

لا يعلمون شيئاً عن الذهب؟

تفيد الشركة في تقريرها أن شركتَي «ديلويت أند تاتش» و«إرنست أند يونغ» قامتا بالتدقيق في بيانات مصرف لبنان في السنوات الماضية رغم كل المآخذ وفق ما يلي:

السنة المالية	تاريخ التوقيع	المدقق الاول	المدقق الثاني
2015/12/31	2017/6/5	Deloitte & Touche. Beirut - Lebanon	Ernst & Young p.c.c. Beirut - Lebanon
2016/12/31	2018/7/20	Deloitte & Touche. Beirut - Lebanon	Ernst & Young p.c.c. Beirut - Lebanon
2017/12/31	2019/5/29	Deloitte & Touche. Beirut - Lebanon	Ernst & Young p.c.c. Beirut - Lebanon
2017/12/31	2020/6/30	Deloitte & Touche. Beirut - Lebanon	Ernst & Young p.c.c. Beirut - Lebanon

وتلاحظ الشركة في تقريرها أنه بينما كان يشرح المدققون تأثير الهندسة المالية، لم يأخذوا في الاعتبار ضرورة أن تعكس محاسبة الهندسة المالية المركز المالي و/أو الأداء لمصرف لبنان، بما يتماشى مع المعايير والسياسات المحاسبية المعتمدة من قبل المجلس المركزي للمصرف.
ويشير إلى أن المدققين لم يتمكنوا من إجراء جرد مادي للذهب المحتفظ به في مصرف لبنان ولم يتلقوا تأكيدات مباشرة لجميع الأرصدة القائمة في ما يتعلق بالنقد في المصرف، والودائع لأجل بفائدة مع المصارف والأرصدة الائتمانية للقطاع العام والبنوك والمؤسسات المالية.

احتياطيات العملات الاجنبية 2010 و2021

قدّم مصرف لبنان للشركة الجدول التالي الذي يبيّن كيفية استخدام احتياطيات العملات الأجنبية لدى المصرف بين عامَي 2010 و2021، لكن الشركة تشير الى أنها لم تدقّق في بياناته:

الجهة	القيمة بالدولار
وزارة الطاقة وكهرباء لبنان	
اعتمادات لصالح مؤسسة كهرباء لبنان	18,386,090,578
تحويلات لصالح مؤسسة كهرباء لبنان	543,098,409
وزارة الطاقة	5,608,275,211
احتياجات القطاع العام للعملات الأجنبية	
اعتمادات مختلفة	235,944,610
تحويلات	8,084,096,388
تمويل استيراد كافة السلع المدعومة من الحكومة	7,572,914,075
صافي الرصيد السلبي نتيجة الحركة في سندات «اليوروبوندز»	7,446,931,738
صافي إجمالي المبلغ بالدولار الأميركي المدفوع من قبل مصرف لبنان من احتياطيات العملات الأجنبية للفترة من 2010 - 2021	47,877,351,009

التحويلات من حساب استشارات 2015 و2020

أوردت الشركة في تقريرها جدولاً يبيّن القيود الدائنة البالغ عددها 27، والتي يبلغ مجموعها 168,362,309,500 ليرة لبنانية (111 مليون دولار أميركي)، وتمثل تحويلات من الحساب الذي يحمل عنوان استشارات مالية إلى حسابات لدى HSBC وحسابات لدى عدد من المصارف اللبنانية. لم تتمكّن الشركة من معرفة اسم المستفيد النهائي أو حسابه من سجلات مصرف لبنان تحت عنوان التحويلات من حساب الاستشارات لأن المصرف أزال تفاصيل المستفيد من مقتطفات SWIFT، مستنداً إلى قانون السرّية المصرفية.
بدأ الحساب بتاريخ 2015/1/1 برصيد دائن افتتاحي بالليرة اللبنانية 27,866,153,322 (18,49 مليون دولار أميركي)، ولم تتمكن الشركة عبر السجلات من معرفة كيفية تمويل هذا الحساب وكيف رُصد. وحدها وزارة المالية بيّنت أنه جرى تحويل 5 دفعات لها بقيمة 55,457 دولار أميركي.
يبيّن الجدول التالي كامل التحويلات من حساب الاستشارات

الحساب المحوّل إليه/المصرف	القيمة بالدولار	عدد الدفعات
Banque Misr Liban SAL	47,023,000	6
IBL Bank SAL	20,475,057	5
BLC Bank SAL	13,445,000	4
AM Bank SAL	7,400,000	1
Bank Audi SAL	5,375,000	1
Fransabank SAL	5,375,000	1
HSBC Private Bank (Suisse) SA	12,134,486	4
Ministry of Finance	55,457	5
المجموع	111,283,000	27

(للاطلاع على قائمة بأسماء 23 شخصاً خُصّص دعم لهم يفوق 100 ألف دولار، راجع «الأخبار»، 11 آب 2023، نص التدقيق الجنائي: سلامة أدار «دكانة»).

تحقيق

لم تتوقف 82 كلّية، و24 قلباً، و13 كبداً، و350 قرنية ورئتان عن العمل رغم وفاة اصحابها منذ عام 2010 وحتى عام 2022. لا تزال تنبض بالحياة في اجساد لم يعرفها اصحابها يوماً. بلا مقابل، وبسرّية تامة، وعن كامل إرادة وتصميم قرر اصحاب هذه الاعضاء ان يهبوها وهم على قيد الحياة، وانتقلت بعد وفاتهم إلى من يحتاجها من خلال عملية وهب تحكمها ضوابط قانونية تحت إشراف الهيئة الوطنية لوهب وزرع الاعضاء. وعلى سجلات الانتظار 466 مريض كلى ينتظرون من يهبهم «حياة» من اصل حوالي 700 مريض يحتاجون إلى عملية وهب قلب وكبد ورئة. امام هذه الارقام، نستعرض في هذه المقالة كيفية إجراء عملية وهب الأعضاء في لبنان، والشروط الطبية والقانونية لإتمامها، ومواقف الاديان من ذلك، موضحين كيف يمكن ان يصبح الإنسان واهباً لأعضائه

فسحة للتضامن الاجتماعي الإنساني في لبنان

«عدالة» وهب الأعضاء

فاطمة خشاب درويش

فادي متى، واحد من 24 شخصاً استفادوا من عملية زرع قلب في لبنان منذ تأسيس الهيئة الوطنية لوهب وزرع الأعضاء والأنسجة البشرية (NOD-LB)، عندما كان في سن الـ33، وبعد أربعة أعوام على لائحة الانتظار، وجد واهباً.

يقول فادي، الذي عانى قبل 12 عاماً ضعفاً في عضلة القلب لسنوات، حتى باتت شبه متوقفة ولا تعمل إلا بنسبة 10%، ما جعله طريح الفراش غير قادر حتى على ضمّ ابنته: «كانت معاناة كبيرة، ما كان فيني آخد نفس، على جهاز الأوكسجين بس. لَما لقينا واهب تغيّر مجرى حياتي». لا يعرف فادي من وهب له قلباً ينبض بين جَنباته ليحيا حياة طبيعية ولكنه حاضر في صلاته ودعائه وفق قوله: «نفسك بألسما، بشكرك من كل قلبي، دايماً بذكرك بشموعي وصلاتي». موجهاً رسالة للأشخاص المسجّلين على لوائح الانتظار في الهيئة: «ما تياسوا. خلّوا عندكم أمل بالحياة».

محبة وتضامن

«عملية وهب الأعضاء هي فعل محبة وتضامن مع الآخر، هي الأمل والعلاج الوحيد لكل مريض يعاني فشلاً مزمناً في أحد أعضائه كالقلب، والرئة، والكلى، والكبد»، تقول المنسقة العامة لـNOD-LB، فريدة يونان، مؤكدة أن الهيئة هي المرجع الوحيد الرسمي والحصري لمراقبة ومتابعة كل عمليات وهب ونزع الأعضاء والأنسجة على الأراضي اللبنانية كافة، وهي التي تضع الضوابط والشروط وتنفّذ البرنامج الوطني لوهب ونزع الأعضاء من الواهبين الأحياء والمتوفين مع مسؤولية تدريب العاملين في القطاع الصحي ونشر ثقافة وهب الأعضاء في المجتمع اللبناني.

وتلفت يونان إلى أن الهيئة تتولى هذه المهام بموجب قرار وزاري صدر في عام 1999، ولكنها لم تصبح فعّالة إلا في عام 2009 عندما عيّنت وزارة الصحة العامة اللجنة التنفيذية فيها وحددت مهامها ومسؤولياتها، ثم أعلنت بموجب المادة 30 من قانون الآداب الطبية رقم 240 عام 2012. مشيرةً إلى أنه «من أهداف الهيئة زيادة نسبة الوهب بعد الوفاة لنصل إلى الاكتفاء الذاتي في لبنان».

وتضيف يونان أن الهيئة وضعت أسس البرنامج الوطني بمساعدة الدولة الإسبانية بالخبراء والتمويل خلال 3 سنوات بين عامي 2010 و2012 وعمّمته على حوالي 30 مؤسسة استشفائية من كل المناطق اللبنانية. كما نظّمت دورات تدريبية للعاملين في القطاع الصحي من مراكز العناية الفائقة والطوارئ، مع تثقيف وتدريب متواصلين لجميع العاملين في المؤسسات الاستشفائية ولأساتذة كليات التمريض. كذلك تدريب أساتذة المدارس للمراحل التكميلية والثانوية لنشر ثقافة الوهب لكل فئات المجتمع. أنشأت الهيئة سجلاً وطنياً لبطاقات الوهب ولائحة انتظار وطنية موحدة لكل الأعضاء وسجلاً وطنياً لزرع الأعضاء، كما استطاعت خلال السنوات الثلاث الأولى أن ترفع نسب الواهبين من 2 إلى 13 واهباً سنوياً، «فيما خسرنا عدداً كبيراً من الواهبين المتوفين بسبب إنعاش غير ملائم لوظيفة الأعضاء الموهوبة، أو لأسباب لوجستية ومادية».

آلية عملية الوهب وشروطها

يشرح المدير الطبي للهيئة الوطنية لوهب الأعضاء الدكتور أنطوان إسطفان آلية عملية الوهب، مشيراً إلى أن «على المؤسسات الاستشفائية، بموجب القانون، التبليغ عن كل حالات الوفيات للهيئة التي تتابع مع العاملين في القطاع الصحي، في العناية الفائقة والطوارئ، إنعاش الأعضاء وتشخيص الوفاة ومخاطبة العائلة».

وبعد موافقة العائلة، تعمل الهيئة على توزيع الأعضاء من خلال برنامج المعلوماتية لديها، وهو مسؤولية حصرية للهيئة ومبني فقط على معايير طبية، إذ تراقب الهيئة عملية استئصال الأعضاء وحفظها وإرسالها إلى مراكز الزرع، كما تتابع نتائج العمليات وتتواصل مع عائلة الواهب لشكرها باسم المرضى حفاظاً على سرّية الوهب.

ويتابع إسطفان: «الوهب في القانون اللبناني هو قرار حر غير مشروط، ومجاني وسرّي، له شروطه الخاصة وضوابط موحدة تعتمدها الهيئة الوطنية على جميع الأراضي اللبنانية».

ويلفت إسطفان إلى أنه في عام 2014 وضعت الهيئة الوطنية كل الشروط والضوابط القانونية والطبية والأخلاقية الموحدة لعمليات وهب وزرع الأعضاء من واهبين أحياء آخذة في الاعتبار أمرين أساسيين: حماية الواهب الحيّ ومنع المتاجرة بالأعضاء.

> **ربحت ابني من خلال عملية الوهب أراه في الأشخاص الذين استفادوا من اعضائه دون ان اعرفهم**

وطلبت الهيئة الوطنية من وزارة الصحة العامة تعيين لجنة طبية وطنية ولجنة أخلاقيات وطنية لدرس ملفات الزرع من واهبين أحياء غير أقارب لحماية البرنامج الوطني وتطبيق كل الضوابط المطروحة من الهيئة، ومنذ تلك السنة لم تُجر أي عملية وهب وزرع خارج نطاق القانون، وأصبحت نسبة الواهبين الأقارب 90% من عدد الواهبين الأحياء.

تحديد الواهب في القانون

● الواهب الحيّ القريب وهو بالقانون اللبناني من الدرجة الأولى حتى الدرجة الرابعة من القرابة.

● كل من يتخطى درجة القرابة الرابعة يصبح واهبا حيًا غير قريب.

الواهب المتوفى: مع توفر شروط تشخيص الوفاة (يشترط تشخيص الموت الدماغي من قبل ثلاثة أطبّاء، طبيب إنعاش، وطبيب شرعي، وطبيب دماغ وأعصاب، بفارق 6 ساعات بين الكشف والآخر مع تخطيط للدماغ لمدة 30 دقيقة و/أو صورة ملونة لشرايين الرأس).

(من الويب)

خطية مسبقة من المستفيد من العملية.

في عام 1984، صدر المرسوم التطبيقي الرقم 1442 الذي نظّم أصول أخذ الأنسجة والأعضاء البشرية لحاجات طبية وعلمية. ولتطبيق أحكام هذا المرسوم يعد ميتاً، بموجب المادة الأولى، الإنسان الذي توقفت بشكل أكيد، وظائف الجهاز الدموي لديه أو وظائف كامل الدماغ بما فيه جسر المخيخ والنخاع المستطيل. يُثبت الموت الدماغي طبيبان، على أن يكون أحدهما اختصاصياً بالأمراض العصبية، بعد أن يتأكدا من توفر شروط الموت كافة.

«من احياها»

بموجب القرار الوزاري الرقم 722/1 عام 2014، تتعاون الجمعيات الأهلية وتنسق مع الهيئة الوطنية لوهب الأعضاء من أجل نشر ثقافة وهب الأعضاء والأنسجة في لبنان، ومن بينها جمعية «من أحياها» التي تأسست عام 2017 ومقرها مستشفى الرسول الأعظم.

يشدد رئيس الجمعية الدكتور عماد شمص على أهمية وهب الأعضاء كقيمة إنسانية سامية، مشيراً إلى أن أهداف الجمعية تتركز على نشر ثقافة وهب الأعضاء والأنسجة البشرية في بيئتنا ومجتمعنا والتوعية بعدم المتاجرة بها، والمساهمة في إنجاح وإتمام عمليّات وهْب وزراعة الأعضاء، والاستفادة من المتطوّعين الذين يوذون المساعدة.

ويفسر شمص حالة الموت الدماغيّ التي تعدّ شرطاً أساسياً لعمليّة الوهب، «هو عبارة عن تعطّل تامّ في عمل الدماغ، في حين تعمل باقي الأعضاء الحيوية بواسطة الأجهزة والأدوية لفترة وجيزة» تسمح هذه الحالة باستفادة نحو ثمانية مرضى يعانون من فشل في أعضائهم من عملية الوهب. مشيراً إلى أن «القلب يستمر بالنبض لدقائق قليلة جداً بمعزل عن حال الدماغ الذي أصبح ميتاً، ويعمل الأطباء على الاعتناء بجسم الميت لإطالة عمر الأعضاء والأنسجة ليستفاد منها في عمليات الوهب والزرع».

ينوّه شمص بدور الإعلام الذي سلّط الضوء على قصة الشاب علي شرف الدين وموافقة أهله على التبرع بأعضائه، لأنه ساهم بنشر ثقافة الوهب بشكل لافت، «خاصة بعد مبادرة جمعية كشافة المهدي عبر موقعها الإلكتروني بدعوة الناس ليصبحوا واهبين، إذ بات هناك 11 ألف طلب وهب أعضاء، وتعمل الجمعية على إرشاد أصحابها لتسجيلها بشكل رسمي عبر موقع الهيئة الوطنية».

هل وهب الاعضاء جائز شرعاً؟

«الدين الإسلامي مع العطاء والوهب، ليس هناك لا من أهل السنة ولا من الشيعة من يقول بحرمة الوهب، بل على العكس، تشجّع كل المراجع على هذا الفعل، كذلك يعمل الأخوة المسيحيون والدروز على نشر هذه الثقافة وحتى من يتّبعون المذاهب الأربعة السنية الحنفية، والشافعية، والمالكية والحنابلة فضلاً عن الشيعة الإمامية الإثني عشرية، الكل يجيز وهب الأعضاء»، يتحدث الشيخ حسين غبريس عن عملية الوهب إلى فتاوى ومراجعات العديد من المراجع الدينية، موضحاً: «من يُحكم بموته دماغياً، بعد تعرضه لحادث أو لأزمة صحية معيّنة، ووصل الأمر به إلى مشارف الموت، الموت الدماغي، وحكم طبيبان من ذوي اختصاص الطب الشرعي أن فلاناً مات دماغياً، حينئذ جاز شرعاً أن يشرع الأطباء بنزع الأجهزة عنه ويحكم بموته، ثم يشرعون بتشريح الجسد والاستفادة من الأعضاء كالقلب والكبد والرئتين والكليتين والحدقتين والأنسجة. وهذا لا يشمل الغيبوبة فهي مختلفة، إذ إن الموت السريري يختلف عن الموت الدماغي».

ويضيف غبريس أنه يجوز، من الناحية الشرعية، وفقاً لديانات مختلفة، أن يتبرع الإنسان الحي بإحدى كليتيه إلى إنسان آخر يحتاجها حتى يبقى حيّاً.

تعاون خجول للمستشفيات والإعلام

يلفت إسطفان إلى وجود تحديات حقيقية تواجه عمل الهيئة الوطنية لوهب الأعضاء، مشيراً إلى عواقب جائحة كورونا والوضع الاقتصادي على القطاع الصحي، من هجرة الأطباء والممرضين، وتكليف المنسقين المدربين مع الهيئة بتأمين مراكز العناية الخاصة بكورونا، إلى جانب عدم وجود الإمكانات من المعدات والأدوية لمتابعة أي حالة وهب، خاصة في ظل غياب دعم الدولة وتأخير القرارات اللازمة والمساهمة المالية الضرورية لاستمرار البرنامج.

كذلك إلى صعوبة إجراء لقاءات للهيئة في ظل الوضع الاقتصادي الصعب، ويستعاض عنها بوسائل التواصل الاجتماعي التي تسهّل التواصل مع الفئة العمرية الشابة.

ويضيف: «التعاون من قبل المؤسسات الاستشفائية والقطاع الصحي والجامعات المعنية يكاد يكون خجولاً أو معدوماً، إلى جانب التعاون الجزئي من قبل رجال الدين»، منتقداً «الدعم الجزئي والخجول لوسائل الإعلام والإعلاميين، الذين يتعاطون مع قضية وهب الأعضاء على قاعدة السبق الصحافي، وهي قضية إنسانية بامتياز».

والد شرف الدين: «اتخذنا القرار السليم»

«حرام هالجسد يروح تحت التراب» كان هذا أوّل ما خطر في بال والد الشاب علي شرف الدين (15 عاماً) إثر وفاته بحادث سير، وبعد أن طرح أحد الأقرباء على الوالد فكرة التبرّع بأعضاء ابنه، خاصة أن الحادث أصاب منطقة الرأس فقط، ليطرح عليه أيضاً أحد الأطباء في المستشفى الأمر نفسه. يقول والد علي إنه لم يكن يعرف كثيراً عن عملية الوهب، «سؤالي الأساسي كان حول وجود مشكلة شرعية، عدا ذلك وافقت بالطبع لتكون صدقة جارية عن ابني». يلفت شرف الدين إلى أن موافقة والدة علي الخطية كانت شرطاً أساسياً، فقد أبلغها بالأمر بعد ساعتين من وفاته، «في البداية تفاجأت، ثم وافقت معي. اتخذنا القرار السليم معاً متوكلين على الله». مضيفاً أن العملية جرت بسرّية تامة، ولم يعرفوا حتى اليوم لمن ستوهَب أعضاء ابنهم، وفقاً للاتفاق مع المعنيين في الهيئة الوطنية لوهب الأعضاء، التي أشرفت على العملية. «ربحت ابني من خلال عملية الوهب، أراه في كل شخص وقف إلى جانبنا، وفي الأشخاص الذين استفادوا من أعضائه من دون أن أعرفهم».

«وين المصاري؟»

يعرض التقرير في الصفحة 188 النفقات التي يعدّها غير «مناسبة»

التفصيل (2015 - 2020)	القيمة (بملايين الدولارات)
إيجار مكتب في باريس	5.97
لوحات فنية	2.9
أثاث	2
توريد مختلف	331.4
مساعدات وتبرعات	307
رعاية نشاطات	11.4
مدفوعات نقدية	2.1

اسماء الاشخاص والكيانات التي شترى منها مصرف لبنان (ملايين الدولارات)

لوحات فنية

1. ندى بولس الاسعد — 1,215,039
2. مايا جوزيف راجي — 256,275
3. NB Auction Sal — 174,287
4. نقولا خيرالله — 88,440
5. شربل جوزيف راجي — 55,074
6. جهات اخرى — 311,253

المجموع 2,100,368

اكبر 5 تحويلات مدرجة في حساب (ملايين الدولارات)

المساعدات والتبرعات

1. Teleport Company — 720,344
2. حنا إسبيرو دميان — 384,000
3. Management Solutions Experts Sarl — 306,223
4. نبيل عبدالله براكس — 217,080
5. مروان اسكندر M.I Associates SarL — 221,096

المجموع 1,848,743

إعداد صادق علوية - تصميم رامي عليّان

القوس

■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون، بشرى زهوة
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان

alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com